مبرّة الآل والأصحاب

سلسلة سير الآل والأصحاب (١٩)

قراءة في سيرة الإمام القدوة أبي الوليد

عُبادة بن الصامت الأنصاريّ

وليد محمود الدقدوسي

مراجعة مركز البحوث والدراسات بالمبرة



قراءة في سيرة الإمام القدوة

أبي الوليد

عُبادة بن الصامت الأنصاري

مكتبة الكويت الوطنية
National Library of Kuwait

عنوان الكتاب : قراءة في سيرة الإمام القدوة أبي الوليد عبادة بن الصامت الأنصاري.

اسم المؤلف : وليد محمود كامل الدقدوسي .

نوع المطبوع : كتاب ـ الطبعة : الأولى ـ عدد الصفحات : ١٢٠

السلسلة : سير الآل والأصحاب (١٩)

الناشر : مبرة الآل والأصحاب.

ص. ب. ١٢٤٢١ الشامية ـ الرمز البريدي ٧١٦٥٥٥ ـ ت : ٢٢٥٦٠٢٠٣

ردمك: ٦ ـ ٥٢ ـ ٦٤ ـ ٩٩٩٦٦ ـ ٩٧٨ ISBN

حقوق الطبع محفوظة لمبرة الآل والأصحاب

إلا لمن أراد التوزيع الخيري بشرط عدم التصرف في المادة العلمية

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٤٠ هـ ـ ٢٠١٩م

مبرة الآل والأصحاب

هاتف: ٢٢٥٦٠٢٠٣ ـ ٢٢٥٥٢٣٤٠ فاكس: ٢٢٥٦٠٣٤٦

ص. ب: ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي ٧١٦٥٥ الكويت

E ـ mail: almabarrh@gmail. com

www. almabarrah. net

مبرّة الآل والأصحاب

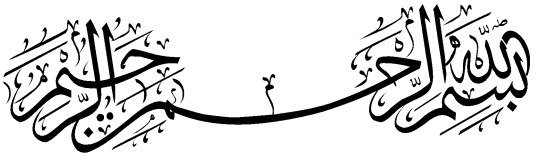
سلسلة سير الآل والأصحاب (١٩)

قراءة في سيرة الإمام القدوة أبي الوليد

عُبادة بن الصامت الأنصاريّ

وليد محمود الدقدوسي

مراجعة مركز البحوث والدراسات بالمبرة


بسم الله الرحمن الرحيم



فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة مبرة الآل والأصحاب	٧
مقدمة	٩
نُبذة عن الأنصار	١١
المبحث الأول: من هو؟	١٥
المبحث الثاني: ملامح مميِّزة، ومناقبُ عظيمة	٣٣
المبحث الثالث: جهاد بالسيف والكلمة	٥٠
المبحث الرابع: عُبادة العالم الفقيه	٧٦
المبحث الخامس: نظرة في عبقريته	٩١
المبحث السادس: خلافات، وأخبار فيها نظر	٩٦
المبحث السابع: شبهة وردّ	١٠٩
الخاتمة	١١٥
المراجع والمصادر	١١٦



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسعد أولياءه بطاعته والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحابته.

فإن من فضل الله علينا بمبرة (الآل والأصحاب) أن نخدم تراثهم ونذب الأذى عن مشاربهم، رعاية لوصف الله لهم بالحسنى ورفقة النبي لهم وحسبك بها رفعة في الدنيا والأخرى.

ومن هذه الخدمة إبراز سيرهم العاطرة بكل منقبة عالية وخِلةٍ سامية.

ومن هنا كان من الضروري أن تُفرد المبرةُ سلسلةً تتناول فيها بالسرد والشرح والتعليل سِيَر هؤلاء الصحب والآل، متوخّين فيها الأمانة العلمية، والدقة المنهجية، التي تبيِّن الأصيل من الدخيل، وتجيب عما يشتبه في الفهم أو تزل فيه العقول، وتستخرج العبرات والعظات والفوائد من تلك السِّير العطرة، وهو المقصود الأساسي من دراسة هذه السير، الذي يحقق التأسِّي والاقتداء بهذه الشخصيات الفريدة.

ونحن هنا في هذا الكتاب ننثر ورداً وننشر عبقاً عن أنصاري من قرابة النبي ﷺ استعمله النبي ثقةً به وتدبجت أسانيد الروايات الحديثية

باسمه في كتب الحديث الكبرى ألا وهو الصحابي الجليل (عبادة بن الصامت ﷺ) الضارب بالفضائل بأعلى الكعاب وأوفى المكاييل.

وقد قام الأخ الباحث/ وليد محمود الدقدوسي بجمع المادة المتعلقة بهذا الصحابي الجليل وتحليلها بأسلوب رشيق بين الاختصار المخل والإطالة المملة، جمع فيه بين الجانب العلمي التوثيقي، وبين الجانب الوعظي الذي يستلهم من المعلومات ما ينفع المسلمَ في عمله وسلوكه، فشكر الله سعيه ونفع بهذا الكتاب وأمثاله.

فالمأمول من هذا الكتاب، وإخوته في تلك السلسلة وغيرها من السلاسل التي تُصدرها المبرة أن تنتشر معرفة هؤلاء الأعلام في الثقافة العامة والإسلامية في مجتمعاتنا، وأن تُثرَى الساحةُ البحثية بالأبحاث الجادة المنهجية حول سير الصحابة وأهل البيت.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مبرة الآل والأصحاب

مُقَدِّمَة

الحمد لله علىٰ تمام نعمته، وسعة عافيته، وظهور آلائه، له الحمد أن هدانا للإسلام، وجعلنا خير أمة أخرجت للأنام، وأصلّي وأسلم علىٰ الهادي البشير، مُخرج العباد ـ بإذن ربهم ـ من الظلمات إلىٰ النور، وعلىٰ أصحابه السادات الأعلام، وعلىٰ التابعين بإحسان.

أما بعد،،،

فهذا كتاب لا أدّعي أنّي سُبقت إليه، ولكنّي التفت إلىٰ كنز نملكه، ونغفل عنه: كنز التراث، وما فيه من مفاتيح الرّضا، ومصابيح الهدىٰ، من الأعلام الأئمة من سلف هذه الأمة، فكان أن هداني الله تعالىٰ وله الفضل والمنّة، إلىٰ شخصية كريمة فاض عليّ من عبقِها، ورأيت من أنوارها، هي شخصية: عُبادة بن الصامت الأنصاري رضي الله عنه، وقد اخترت في عرض هذه الشخصية، طريقا وسطا بين السرد، والنقد، خشية الوقوع في التكرار، ولكي تحصُل الفائدة، فحاولت إزاحة الستار عن عبقريتها، وفض بعض الخلاف حولها، مُستجلياً جانب القدوة والإمامة فيها، من سبق، وجهاد، وصدق، وفقه، وقوة في الحق، كما حاولت درء شُبهةٍ نالَتْه رضي الله عنه، وقد اعتمدت في ذلك علىٰ أمهات الكتب التي أتيحت لي،

كما أفدت من كتاب الدكتور وهبة الزحيلي: «عبادة بن الصامت صحابي كبير وفاتح مجاهد»، في قراءة شخصيته، والوقوف علىٰ مكمن عبقريتها، كما اعتمدت عليه كمرجع في حسم بعض الأمور، وحاولت ترك بصمة خاصة، راجياً من الله تعالىٰ أن تحصل ـ بعملي المتواضع هذا ـ فائدة، معتذراً عمّا يكون قد وقع من خطأ، فهو منّي ومن الشيطان، أمّا التوفيق فمن الله وحده.



نُبذة عن الأنصار

غلبت علىٰ الأنصار صفة النُّصْرة وهي: حسن المعونة، فجرىٰ لفظ (الأنصار): مجرىٰ الأسماء وصار كأنه اسم الحيّ، ولذلك أضيف إليه بلفظ الجمع فقيل أنصارِيّ[1].

وهو اسم سمّاهم الله تعالىٰ به:

ففي صحيح البخاري:

حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا غَيْلَانُ ابْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: أَرَأَيْتَ اسْمَ الأَنْصَارِ، كُنْتُمْ تُسَمَّوْنَ بِهِ، أَمْ سَمَّاكُمُ اللهُ؟ قَالَ: «بَلْ سَمَّانَا اللهُ ﷻ»[2].

ويرجع نسب الأنصار إلىٰ رجلين: أوس والخزرج ابني حارثة، وجدهم الأكبر هو: حَارِثَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ، وهم يمنيّون، هاجر أجدادهم إلىٰ يثرب بعد انهيار سد مأرِب، واستقروا بها[3].

وقد دارت بين الأوس والخزرج وقائع مشهورة، كان آخرها يوم

(١) ينظر: لسان العرب، (٥/٢١٠).

(٢) صحيح البخاري: (٣٧٧٦).

(٣) راجع: فتح الباري: ٧/١١٠، لسان العرب: ١/٧٤٧، البداية والنهاية: ٣/١١٤.

بُعاث[1] قبل الهجرة بست سنين[2]، فكان مَقْدِمه ﷺ إيذانا بانتهاء العداوة بينهم، وبدايةً لعهد الإخاء والمحبة.

روىٰ البخاري بسنده عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي[3] إِلَىٰ أَنَّهَا اليَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ.... الحديث»[4]، فتحولت يثرب إلىٰ المدينة المنورة، وتحول أهلها إلىٰ الأنصار، في مولد جديد.

فكان الأنصار رضوان الله عليهم أهل دار الإيمان والهجرة، وأهل المَعونة، والنُّصرة، احتضنوا الدعوة بحب، وبذلوا النفس والنفيس، وأفسحوا لإخوانهم من المهاجرين وقد قدِموا المدينة لا يملكون شيئا، ليقوم مُجتمع المحبة والإيثار في أجمل أيام الدنيا قاطبة، قال تعالىٰ يُزكّيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[5].

---

(١) «مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ، كَانَتْ فِيهِ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ قُتِلَ فِيهَا خَلْقٌ مِنْ أَشْرَافِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ وَكُبَرَائِهِمْ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ شُيُوخِهِمْ إِلَّا الْقَلِيلُ» ينظر: البداية والنهاية: ٣٦٨/٤.

(٢) ينظر: البداية والنهاية: ١٠١/١٠.

(٣) أي: ظنّي.

(٤) صحيح البخاري: ٢٠٣/٤ (٣٦٢٢).

(٥) الحشر: ٩، «قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَلَا يَجِدُ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَهُمُ الْأَنْصَارُ ﴿فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾: يَعْنِي حَسَدًا ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾: يَعْنِي مِمَّا أُوتِيَ الْمُهَاجِرِينَ مِنَ الْفَيْءِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾:=

وقال فيهم النبي (ﷺ) ما لم يقله في غيرهم:

فعظّم قدرهم، وجعلهم في المحبة فوق الأهل والعشيرة.

روى البخاري بسنده عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ الأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا، أَوْ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الأَنْصَارِ، وَلَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ[1].

وكان مجتمع المحبة بالمدينة بسيطا، تعلو فيه كلمة الحب، ويعبر فيه النبي ﷺ وهو جميل الخلْق والخلُق، عن امتنانه للأنصار في كل موقف.

روى البخاري بسنده: عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: رَأَى النَّبِيُّ ﷺ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ مُقْبِلِينَ ـ قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ ـ مِنْ عُرُسٍ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مُمْثِلًا[2] فَقَالَ: «اللهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ»[3] قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ.

= يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَهُوَ يَصِفُ الْأَنْصَارَ ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ مِنْ قَبْلِ الْمُهَاجِرِينَ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: يَقُولُ: وَيُعْطُونَ الْمُهَاجِرِينَ أَمْوَالَهُمْ إِيثَارًا لَهُمْ بِهَا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾: يَقُولُ: وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَاجَةٌ وَفَاقَةٌ إِلَىٰ مَا آثَرُوا بِهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ. وَالْخَصَاصَةُ مَصْدَرٌ، وَهِيَ أَيْضًا اسْمٌ، وَهُوَ كُلُّ مَا تَخَلَّلْتَهُ بِبَصَرِكَ كَالْكُوَّةِ وَالْفُرْجَةِ فِي الْحَائِطِ، تُجْمَعُ خَصَاصَاتٍ وَخِصَاصٌ» ينظر: تفسير الطبري: ٢٢/٥٢٥ ـ ٥٢٧.

(١) صحيح البخاري: (٣٧٧٩).

(٢) مَثُلَ الرَّجُلِ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَضَمِّ الْمُثَلَّثَةِ مُثُولًا إِذَا انْتَصَبَ قَائِمًا. فتح الباري: ٧/١١٤.

(٣) البخاري، (٣٧٨٥).

ودعا لهم ﷺ بمغفرة توارثوها، وامتدت كالظل الوارف أجيالا بعد أجيال.

فقال: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَلِذَرَارِيِّ[1] الأَنْصَارِ وَلِذَرَارِيِّ ذَرَارِيهِمْ»[2].

وللأنصار فضل لا ينكره إلا جاحد، وهل يُنكر سَوِيٌّ نقيٌّ خُلُق قوم امتدحهم الله ورسوله.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ»[3].

وأيُّ دليل علىٰ إيمان المسلم إن هو لم يحبّ الأنصار، أو وقع في نفسه شك في عدالتهم، وقد قال النَّبِيِّ ﷺ، «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ»[4].

وقَالَ أيضا: «حُبُّ الْأَنْصَارِ آيَةُ الْإِيمَانِ، وَبُغْضُهُمْ آيَةُ النِّفَاقِ»[5].

فاللهمّ اجعلنا ممن يحب الأنصار، ويعرف الأنصار، ويُحشر في زمرة الأنصار.

---

(١) الذُّرِّيَّة تَقَعُ عَلَىٰ الآباءِ والأَبْناءِ والأَوْلادِ والنِّسَاء. ينظر: لسان العرب، ٢٨٦/١٤.

(٢) الترمذي، ٧١٣/٥ (٣٩٠٢).

(٣) صحيح البخاري، ٣٢/٥ (٣٧٨٣) «الْمُرَادُ حُبُّ جَمِيعِهِمْ وَبُغْضُ جَمِيعِهِمْ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ لِلدِّينِ» ينظر: فتح الباري: ١١٤/٧.

(٤) صحيح البخاري، ٣٢/٥ (٣٧٨٤).

(٥) صحيح مسلم، ٨٥/١ (٧٤).

المبحث الأول
من هو؟

عندما نُعرّف شخصا، أو نُقدّمُه، فإننا نذكر نسبه، باعتباره جذرًا نمت منه الفروع، وبامتداد العُمر تصبح الفروع جذورًا في شجرة الحياة النامية المُتجددة، وحينئذ نتحدث عن أبناء، وأحفاد، هُم في الحقيقة جزءٌ من حياة الشخص، وصورةٌ لأسلوب تربيته.

۞ نَسَبُه:

ترجم له ابن سعد في الطبقات فقال: «عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ: بْنِ قَيْسِ ابْن أصرم بْن فهر بْن ثعلبة بْن **غنم بْنِ عَوْفِ** بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ الخزرج. ويكنىٰ أبا الوليد»[1].

ووافقه ابن الأثير في أسد الغابة، وابن حبان في الثقات، والذهبي في سير أعلام النبلاء[2].

وفي طبقات ابن خياط: «عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن

---

(١) الطبقات: ٤١٢/٣

(٢) ينظر: أسد الغابة: ٥٦/٣، الثقات: ٣٠٢/٣، سير أعلام النبلاء٥/٢.

فهر بن **غنم بن سالم** بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج»[1].

وفي معجم الصحابة لابن قانع: «عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ أَصْرَمَ ابْنِ فِهْرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ **غَنْمِ بْنِ سَالِمِ** بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ»[2].

وفي الاستيعاب: «عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن **غنم بن سالم** بن عوف ابن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصاري السالمي»، وانفرد بذكر: (السالميّ)، ووافقه أبو نعيم في معرفة الصحابة[3].

وقد لا يستوقفك هذا الخلاف، وقد لا تُلقي له بالا، لكنّ خِلافا في النسب قد ينقل المرء من انتماء إلىٰ آخر.

والسؤال: لم حصل الخلاف؟

حصل الخلاف، لظن البعض ممن ترجم لعبادة ﵁، أن كونه من القواقلة[4] يعني أنه من نسل غَنْم بن عوف، باعتبار أن (قَوْقَلًا) هو غنْم ابن عوف، يظهر ذلك جليّا في ترجمة ابن الأثير حيث يقول: «عبادة بْن الصامت بْن قيس بن أصرم بْن فهر بْن ثعلبة **بْن قوقل، واسمه غنم بْن عوف** بْن عمرو بْن عوف بْن الخزرج الأنصاري الخزرجي»[5].

(١) ينظر: طبقات ابن خياط: ٥٥٤.
(٢) ينظر: معجم الصحابة لابن قانع: ١٩١/٢.
(٣) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب٨٠٧/٢، معرفة الصحابة لأبي نعيم، ١٩١٩/٤.
(٤) اسمُ أبي بَطْنٍ من الأنْصارِ. القاموس المحيط: ١٠٤٩/١.
(٥) ينظر: أسد الغابة، ٥٦/٣.

أمّا ابن سعد (وهو الأقدم) فقد تردّد في تعريف القواقلة، فتارة يقول: «الْقَوَاقِلَة وَهُمْ بَنُو غَنْمٍ وَبَنُو سَالِمٍ ابْنَيْ عَوْفِ بْنِ عَمْرِو بْن عَوْف ابْن الخزرج»[1].

وتارة أخرىٰ: «الْقَوَاقِلَة وَهُمْ بَنُو عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ الْكَبِيرِ»[2].

ورغم أنه ينسبه لغنم بن عوف في ترجمته، فإنه يذكره في بني سالم «يُقَالُ: أن رسول الله ـ ﷺ ـ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَىٰ نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ نُزُولٍ بِمِنًىٰ ثَمَانِيَةُ نَفَرٍ. مِنْهُمْ: مِنْ بَنِي النَّجَّارِ مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ وَأَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ. وَمِنْ بَنِي زُرَيْقٍ رَافِعُ بْنُ مَالِكٍ وَذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ. **وَمِنْ بَنِي سَالِمٍ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ**»[3].

وكذلك ابن حبّان يذكره فيمن شهد بدرا فيقول «**وَمن بني أَصْرَم بْن فهر بْن ثَعْلَبَة بْن غنم بْن سَالم بْن عَوْف، عبَادَة بْن الصَّامِت** بْن قيس بْن أَصْرَم وَأَخُوهُ أَوْس بْن الصَّامِت»[4]، خلافا لترجمته له.

وعلىٰ ذلك يمكننا القول: أن كَوْنَ عبادة رضي الله عنه من القواقلة لا يعني نسبته إلىٰ غنم بن عوف، بل يعني انتماءه إلىٰ رأس من رءوس الخزرج هو: عوف بن الخزرج الذي تتفرع منه بطون شتىٰ.

(١) الطبقات، ٤١٢/٣.
(٢) الطبقات، ٢٧٩/٨.
(٣) ينظر: الطبقات، ١٦٩/١.
(٤) ينظر: تاريخ دمشق: ١٨٤/٢٦.

فإذا أردنا نسبته إلىٰ بطن من البطون لقلنا أنه: سالِميّ كما في ترجمة الاستيعاب، وقولنا سالِميّ، كقولنا عن النبي ﷺ أنه هاشميّ لأن بني هاشم بطن من بطون قريش.

فإذا أردنا الارتفاع بنسبه قلنا: السالِميّ ـ القَوْقَلِيّ ـ الخزرجيّ ـ الأنصاريّ.

وبناءً علىٰ ما سبق يتبين نسبتُه إلىٰ غَنْم بن سالم، لا إلىٰ غَنْم بن عوف. والله تعالىٰ أعلم.

۞ مولده:

بالنظر إلىٰ وفاته في سَنَةَ أَرْبَعِ وَثَلَاثِيْنَ، وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِيْنَ سَنَةً[1]، وهو أرجح الأقوال، يكون قد وُلِد (رضي الله عنه) حوالي سنة ثمان وثلاثين قبل الهجرة النبوية، بيثرب.

۞ نشأته:

نشأ بيثرب في بيت عز قديم، في قوم ذوي مَنعَة، يُحسنون الجوار، ويجيرون المستغيث، ويؤمّنون الخائف، وهو ما يُفهم من انتسابه للقواقلة، وهم قوم كرام كانوا إذا وفد عليهم وافد جعلوا له نصيباً في عِيشتهم، وأنزلوه علىٰ الرُحب والسّعة، يقيم ما شاء آمنا[2].

(١) راجع: سير أعلام النبلاء ٢/١٠ ـ ١١، الاستيعاب: ٢/٨٠٨، تهذيب الكمال ١٤/١٨٩، الإصابة: ٣/٥٠٧، الطبقات، ٣/٤١٣.

(٢) راجع: سيرة ابن هشام: ١/٤٣٢، المغازي: ١/١٦٧.

۞ صفته:

ورد في صفته أنه: كان رَجُلاً طُوَالاً[١]، جَسِيْماً، جَمِيْلاً[٢]، أسود اللون[٣]، وفي الجمع بين جمال عبادة وسواده يقول د. وهبة الزحيلي رحمه الله:

«عبادة كان جميلا كما عرفنا في هيئته، وأما سواده فهو من عروبته، ولا يعد ذلك بين العرب قبحاً»[٤].

فإنّ الأسود قد يكون جميل الملامح، والأبيض قبيحها، كما أن الخزرج ينتمون إلىٰ الأزد، وفيهم السواد، وقد جاء في وصف نبي الله موسىٰ عليه السلام: «كأنه من أزد شنوءة»[٥]، وأنبياء الله ليس فيهم قُبح.

۞ أسرته:

قد يعذرني القارئ الكريم في ما سآخذ فيه من الاستفاضة في الترجمة لأسرة عبادة رضي الله عنه، لأننا حين نترجم لأحد منهم، فإنما نترجم ـ فيما دون أبيه ـ لصحابيّ أو صحابية، أو تابعيّ من الثقات، كما لزم التدقيق لوجود خلاف، واختلاط في بعض الأمور، كنسبة إخوة إليه، أو أبناء: وهْمًا أو غلطًا، ولسبب آخر هو أنني أعُدُ أسرته رضي الله عنه تكملة لازمة

(١) يقال للرجل إذا كان أَهْوَجَ الطُّولِ طُوَالٌ وَطُوَّالٌ: أي مفرط الطول. ينظر: لسان العرب ٤١٠/١١.

(٢) ينظر: الطبقات: ٤١٣/٣، سير أعلام النبلاء، ١٠/٢.

(٣) ينظر: فتوح مصر لابن عبدالحكم: ٨٨.

(٤) ينظر: عبادة بن الصامت: صحابي كبير، وفاتح مجاهد: هامش ص: ٩٣.

(٥) راجع: البخاري (٣٢٣٩)، مسلم (١٦٥).

لنشأته، ومحطات حياته، التي تبدأ عند كل إنسان بأب وأم، ثم إخوة، ثم إنه يتزوج بعد ذلك، فيكون له عقِبٌ من الأولاد، والأحفاد، وقد وقفت وقفة عند كل فرد ما وسعتني المادة البحثية، لما في أحوال هذه الأسرة من دلالات، وفوائد.

۞ أبوه:

الصامت بْنِ قَيْسِ بنِ أَصْرَمَ بنِ فِهْرِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمِ بنِ سالم بن عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ[1].

ليس بصحابيّ، ويبدو أنه قد مات في الجاهلية[2] قبل ظهور الدعوة، إذ لا يُعقل أن يُسلم أبناؤه وزوجته دونه، كما يشير قلة أولاده ـ علىٰ غير عادة العرب ـ إلىٰ موته المبكر هذا، وكذلك مجيء ابنه عبادة نقيبا لقومه في العقبة الثانية.

۞ أمه:

هي: قُرّة العين بنت عُبادة بن نَضْلة بن مالك بن العَجْلان بن زيد ابن غَنم بن سالم بْنِ عَوْفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ الخزرج. وأسلمت قرة العين وبايعت رسول الله (ﷺ)[3].

---

(١) هذا نسب أبيه علىٰ ما رجحته من نسب عبادة، ومضىٰ ذكره.

(٢) راجع: الإصابة، ١/٥٠٦.

(٣) ينظر: الطبقات الكبرىٰ، ٨/٢٧٩.

ويظهر من نسب الأم أنها من أبناء عمومة الأب، فهما يلتقيان في غَنْم بن سالم، وهذا يُرجّح ما ذكرته في نسب عبادة ﵁، كما نلاحظ أنّها سمّت عُبادة باسم أبيها.

۞ خالُه:

عبّاس بْن عُبادة بْن نَضْلة بْن مَالِك بْن العجلان بْن زَيْد بن غَنْم بن سالم بن عوف بن عمرو بْن عوف بْن الخزرج بْن ثعلبة، الأنصاريّ الخزرجيّ[(١)]، صحابي جليل، قيل أنه من النفر الستة الذين لقوا النبي ﷺ، فأسلموا قبل جميع الأنصار[(٢)]، شهد العقبة: الأولىٰ، والثانية[(٣)]، وقام خطيبا في الخزرج قبل المُبايَعة يشُدّ العقْدَ في أعناقهم لرسول الله ﷺ[(٤)]، ثم أقام معه بمكة، حتّىٰ هاجر معه، فهو أنصاريٌّ مُهاجريٌّ[(٥)]، لم يشهد بدرا، قُتل يوم أُحُد شهيدا[(٦)]، وذكر الواقدي ما يدل علىٰ حسن بلائه فيها[(٧)].

وللعباس أثر كبير في حياة عُبادة، ويبدو أنه قد تولّىٰ تربيته بعد

(١) ينظر: أسد الغابة: ٣/٥٩، الاستيعاب: ٢/٨١٠.
(٢) انظر: أسد الغابة: ٣/٥٩.
(٣) راجع: الطبقات: ١/١٧٠، تاريخ دمشق: ٢٦/١٨٥، الثقات: ٣/٢٨٨.
(٤) راجع: سيرة ابن هشام: ١/٤٤٦.
(٥) راجع: الإصابة: ٣/٥١١.
(٦) راجع: أسد الغابة: ٣/٦٠.
(٧) راجع: مغازي الواقدي: ١/٢٥٨.

موت أبيه، فأخذ عنه روح القوّة، والمُبادرة، والحماسة.

۞ إخوته:

له من الإخوة بالنسب:

لأبيه وأمه: أَوْس، وخَوْلَة، ولأبيه: أُمَامة بنت الصامت وبالإيخاء: أبو مَرْثَدْ الغَنَوِيّ.

١ ـ إخوته لأبيه وأمه:

أ ـ أَوْس بن الصامت:

صحابيٌّ جليل، شهد العقبة الثانية مع أخيه عبادة[١] وشهد بدرًا، والمشاهد كلها، وكان شاعرا شريفا[٢]، ارتبط اسمه بقصة مشهورة عُرِف بها فهو الذي ظاهر[٣] من امرأته: خولة بنت ثعلبة[٤] فأتت رسول الله ﷺ

(١) راجع: المغازي: ١/١٦٧، سيرة ابن هشام: ١/٦٩٤.

(٢) انظر: إكمال تهذيب الكمال: ٢/٢٩٠.

(٣) ظاهَرَ الرَّجلُ امرأته، وَمِنْهَا، مُظاهَرَةً وظِهاراً إِذا قَالَ: هِيَ عَلَيَّ كظَهْرِ ذاتِ رَحِمٍ وأَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ قَالَ لِزَوْجَتِهِ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي أَنَّهُ مُظَاهِرٌ، وَأَكْثَرُهُمْ عَلَىٰ أَنَّهُ إِنْ قَالَ لَهَا: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ ابْنَتِي أَوْ أُخْتِي أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ أَنَّهُ مُظَاهِرٌ، وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِمَا، ينظر: لسان العرب، ٤/٥٢٨، تفسير القرطبي، ١٧/٢٧٣.

(٤) خَوْلَةُ بِنْت ثَعْلَبَة بْن أَصْرَمَ بْن فِهْرِ بْن ثعلبة بن غنم بْن عوف وهي المجادلة الّتي أنزل الله. ﷻ. فيها الْقُرْآنَ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾، ويقال = خويلة.=

تشتكيه، فأنزل الله تعالىٰ قوله في أول المجادلة ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾، وقد عمّر أوسٌ طويلا[1]، جاء في ترجمته في أسد الغابة أنه: «سكن هو وشداد ابْن أوس الأنصاري البيت المقدس، وتوفي بالرملة من أرض فلسطين سنة أربع وثلاثين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، ومات أخوه عبادة بالرّملة، وقيل بالبيت المقدس، قاله أبو أحمد العسكري، أخرجه الثلاثة»[2]، فإذا سلمنا بموت أوس رضي الله عنه سنة ٣٤ عن ٧٢ عاما، لاشترك مع عُبادة في السن، وسُكنىٰ الرّملة، وصُحبة شداد بن أوس[3]، وهذه الأوصاف ينبغي أن تكون لعبادة نفسه لا لأخيه، ويناقض وفاته سنة ٣٤ عن ٧٢ سنة ما ورد من أنه كان شيخا كبيرا حين ظاهر امرأته[4]، وبفرض أن الظِّهار كان في آخر حياة النبي ﷺ، لكان عمره وقتئذ تسعا وأربعين

= وخولة أكثر. وقيل خولة بنت حكيم، وخَوْلَةُ بِنْت ثَعْلَبَة، وهكذا يقول الأكثر. ينظر: الطبقات: ٤١٣/٣، الاستيعاب، ١٨٣٠/٤، الإصابة: ١١٤/٨.

(١) راجع: الطبقات: ٤١٣/٣، معرفة الصحابة لأبي نعيم: ٣٣١٠/٦وما بعدها.

(٢) انظر: أسد الغابة: ١٧٢/١.

(٣) شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري، يكنىٰ أبا يعلىٰ، نزل الشام بناحية فلسطين ومات بها سنة ثمان وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين سنة. وقيل: بل توفي شداد بن أوس سنة إحدىٰ وأربعين. وقيل: بل توفي سنة أربع وستين، قَالَ عبادة بن الصامت: كان شداد بن أوس ممن أوتي العلم والحلم. ينظر: الاستيعاب: ٦٩٤/٢.

(٤) راجع: السنن الكبرىٰ للبيهقي: ٦٤٢/٧ (١٥٢٨٤)، المعجم الكبير للطبراني: ٢٢٥/١ (٦١٦).

سنة، وليس هذا بعمر شيخ كبير، فيكون الصحيح ما قال به ابن حبّان من أنه: «مات عن خمس وثمانين سنة في خلافة عُثمان رضي الله عنه[1]» والله تعالىٰ أعلم.

ب ـ خَوْلَة بنت الصامت:

صحابية، مُبايعة وهي أخت أوس وعُبادة ابني الصامت، خلط البعض بينها وبين خولة بنت ثعلبة، وصحح ذلك ابن سعد في ترجمتها، ويبدو أن هذا الخلط راجع إلىٰ التشابه في الاسم الأول بينهما، ولاشتراكهما في النسب لكونهما ابنتي عم، لذا ألحق كثيرون ترجمتها بترجمة خَولة بنت ثعلبة، وأهمل البعض ترجمتها[2].

وكما نقل الخلْطُ خولة بنت الصامت من أخت لأوس بن الصامت إلىٰ زوجة له، حدث خلط آخر مع ثابت بن الصامت الأنصاري الأشهلي[3]، جعله أخاً لعبادة بن الصامت لمجرد التشابه في اسم الأب، وهو ما فصَل فيه ابن الأثير في أسد الغابة فقال «ليس بأخ لعبادة بْن الصامت، لأن عبادة خزرجي وعبد الأشهل من الأوس»[4].

(١) راجع: الثقات لابن حبان: ٣/١١.

(٢) راجع: الطبقات، ٨/٢٨٠، إكمال تهذيب الكمال: ٧/١٩٢.

(٣) ينظر ترجمته في: إكمال تهذيب الكمال ٣/٧٠.

(٤) ينظر: أسد الغابة، ١/٢٧٠.

٢ ـ أخته لأبيه:

أُمامة بنت الصامت[١]:

صحابية مُبايعة أمها: الرباب بنت مالك بن عمرو بن عزيز بن مالك ابن عوف بن عمرو بن عوف من الأوس[٢].

٣ ـ أخوه بالمؤاخاة:

آخىٰ النبي (ﷺ) بين عبادة بن الصامت وأبي مَرْثَد الغَنَوِيّ[٣]، حين آخىٰ بين المهاجرين والأنصار.

وكانت هذه المؤاخاة التي شرعها النبي (ﷺ) مثلا إنسانيا راقيا، قامت فيه أخوة الدين مكان أخوة النسب، وعهدا علىٰ النصيحة وحسن المواساة، وأن يرث الأخ منهم أخاه دون ذوي رحمه، وكان ذلك قبل غزوة بدر، فَلَمَّا أَنْزَلَ الله تعالىٰ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤]، بعد غزوة بدر، انقطعت المؤاخاة في

(١) في الطبقات: أمامة بنت صامت. وهو تصحيف والصواب ما ذكرته.

(٢) ينظر: الطبقات ٨/٢٨٠، الإصابة: ٨/٢٤.

(٣) هو: كنّاز بْن الحُصَين بْن يربوع بْن طريف بْن خَرَشَة بْن عُبَيد بْن سعد بْن عوف بْن كعب بْن جِلاّن بْن غَنْم بْن غَنِيّ أَبُو مَرْثَد الغَنَوِيّ حليف حمزة بْن عَبْد المطلب، وهو من كبار الصحابة وفضلائهم، شهد بدرًا هُوَ وابنه مرثد بن أَبِي مرثد، توفي فِي خلافة أَبِي بَكْر الصديق رضي الله عنه، سنة إحدىٰ عشرة، وهو ابْن ست وستين سنة. هكذا في أسد الغابة، ٤/٢٠٠، وانظر ترجمته: في الطبقات ٣/٣٤، الاستيعاب: ٣/١٣٣٣. والإصابة: ٧/٣٠٥، والجرح والتعديل ٧/١٧٤.

(٤) الأنفال: ٧٥.

الميراث، وبقيت في ما دون ذلك من محبة، ونصح، ومواساة[1].

۞ زوجاته:

تزوج عبادة بن الصامت بامرأتين، الأولىٰ:

جميلة بنت أبي صَعْصَعَة: واسمه عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول ابن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النجار، صحابية مُبايعة، وهي أم: الوليد أكبر أبناء عُبادة، وكان مولده في أواخر أيام النبي ﷺ[2]، ثم فارقها عُبادة بعد ذلك فراقا مُبكراً، فخلف عليها الربيع بن سراقة بن عمرو[3].

زوجته الثانية:

أم حَرام بنت مِلْحان بْن خَالِد بْن زيد بْن حرام بْن جُندُب بن عامر ابن غَنْم بن عَدِيّ بن النجار الأنصارية الخزرجية[4]: خالة أنس بن مالك الصحابيّ الجليل، وخادم الرسول ﷺ[5]، كانت من فضليات النساء،

(١) ينظر تفصيل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في: سيرة ابن هشام ١/٥٠٤ وما بعدها، السيرة الحلبية: ٢/١٢٨، صحيح الأثر وجميل العبر: ١٦٨، وما بعدها، اللؤلؤ المكنون: ٢/١٨٠ وما بعدها.

(٢) راجع: الإصابة: ٨/٧٠. الطبقات، ٨/٣٠٦ ـ ٣٠٧ ـ، أسد الغابة: ٦/٥٢.

(٣) راجع: الطبقات الكبرىٰ: ٨/٣٠٦.

(٤) ينظر ترجمتها في: الطبقات ٨/٣١٩ ـ ٣٢٠، الاستيعاب، ٤/١٩٣١، الثقات: ٣/١٣٢، أسد الغابة ٦/٣١٧.

(٥) ينظر ترجمته في: الطبقات ٧/١٢، سير أعلام النبلاء: ٣/٣٩٥، الاستيعاب: ١/١٠٩، أسد الغابة: ١/١٥١، إكمال تهذيب الكمال: ٢/٢٧٩ ـ ٢٨٠.

لها بالنبي ﷺ قرابة، فكان يصلها، ويُكرمها، ويزورها، ويدخل عليها لكونها من محارمه[1]. وهي آخر زوجاته على الأغلب.

روى البخاري بشرى النبي (ﷺ) لها بأنها أول أُمّتِه ركوبا للبحر في سبيل الله، وهو من دلائل النبوة:

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ وَكَانَتْ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَأَطْعَمَتْهُ، وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا البَحْرِ، مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ، أَوْ: مِثْلَ المُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ» ـ شَكَّ إِسْحَاقُ ـ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ» كَمَا قَالَ فِي الأُولَى، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ»، فَرَكِبَتْ البَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ البَحْرِ، فَهَلَكَتْ[2].

---

(١) راجع: أسد الغابة، ٦/٣١٧، فتح الباري، ١١/٧٨.

(٢) صحيح البخاري ـ كتاب التعبير ـ باب رؤيا النهار، ٩/٣٤. وينظر الحديث عند:=

۞ أولاده:

تجدر الإشارة إلىٰ أنه قد وقع خلط كبير بين أبناء عبادة بن الصامت وأحفاده، فعلىٰ سبيل المثال: ذكر صاحب تهذيب الكمال في ترجمة الوليد بن عبادة بن الصامت: يحيىٰ بن عبادة بن الصامت وقال بأنه أخوه[1]، ووهِم في ذلك، فظن أنه أخو الوليد، والصواب، ما جاء في إكمال التهذيب من أن «يحيىٰ بن الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي المدني، أخو عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت»[2].

والثابت أن لعبادة من الأبناء: الوليد، وآخر يدعىٰ: محمداً.

وأكبر أبناء عبادة بن الصامت وأشهرهم:

الوليد بن عبادة، أمه كما سبق: جميلة بنت أبي صعصعة، أدرك الوليد آخر زمن النبي ﷺ، وكان ثقة كثير الحديث، روىٰ عن أبيه أحاديث عدّة، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان بالشام[3]، ذكره ابن عبد البر في الصحابة وتعقبه العلائي فقال: «وقطع ابن عبد البر بصحبته اعتماداً

= مسلم ١٥١٨/٣ (١٩١٢)، والبحر المذكور هو البحر المتوسط، أما الغزوة فكانت غزوة قبرص سنة ٢٧ هـ في خلافة عثمان (رضي الله عنه)، وقَبْرُهَا رضي الله عنها بقبرص يُعَظِّمُونَهُ وَيَسْتَسْقُونَ بِهِ، وَيَقُولُونَ: قَبْرُ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ، وقيل: توفيت مرجعهم من الغزو بالشام. البداية والنهاية ٢٢٩/١٠، ٣١٠/١١، ٢١٧/٩.

(١) راجع: تهذيب الكمال، ٣١/٣١.

(٢) ينظر: إكمال تهذيب الكمال، ٣٧٦/١٢.

(٣) راجع: الاستيعاب: ١٥٥٢/٤، الثقات: ٤٩٠/٥، الطبقات: ٥٩/٥.

علىٰ ما روىٰ هشام بن عمار عن حنظلة عن أبي حرزة يعقوب بن مجاهد عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: كنت أخرج مع أبي وله صحبة، فذكر الحديث والأصح أنه لا رؤية له، ذكره بن أبي حاتم وابن حبان والجمهور في التابعين»[1].

والأصغر الأقل شهرة هو:

محمد بن عبادة بن الصامت، وقد ذكر ابن سعد في الطبقات، وابن حجر في فتح الباري أنّ محمداً بن عبادة هو ابن عبادة بن الصامت من زوجته أم حرام، وقيل إنّ: محمداً بن عبادة بن الصامت ليست له رواية عن أبيه، وقيل: له رواية[2].

۞ أحفاده:

أشهرهم: عُبَادَةُ بنُ الوَلِيْدِ بنِ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ الأَنْصَارِيُّ، وهو حفيد عبادة بن الصامت وسمِيُّه، قال عنه الذهبي: «الفَقِيْهُ، أَبُو الصَّامِتِ الأَنْصَارِيُّ، مَدَنِيٌّ، حُجَّةٌ، وَهُوَ أَخُو يَحْيَىٰ، يَرْوِي عَنْ: جَدِّهِ، وَأَبِي أَيُّوْبَ، وَعَائِشَةَ، وَجَمَاعَةٍ»[3].

وذكر ابن حبان في الثقات من أحفاد عُبادة بن الصامت: مُحَمَّد بن

(١) جامع التحصيل (ص ٢٩٦).
(٢) ينظر: الطبقات: ٤١٢/٣، فتح الباري، ٧٣/١١، إكمال تهذيب الكمال، ١٩٢/٧.
(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء، ١٠٧/٥.

الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ الْأَنْصَارِيّ، يروي عَن عبَادَة بن الصَّامِت، عِداده فِي أهل الشَّام، رَوَىٰ عَنْهُ عِيسَىٰ بْن سِنَان[1].

و«يحيىٰ بن الْوَلِيد بْن الصَّامِت يروي عَن عبَادَة بن الصَّامِت روىٰ عَنهُ جبلة بن عَطِيَّة»[2].

وثمة حفيد آخر لعبادة بن الصامت يُدعىٰ: عبادة بن محمد بن عبادة ابن الصامت، وهو غير عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، وله رواية عن جده[3].

وامتدت هذه الشجرة المباركة وبقي فيها العلم والورع، فكان منها في القرن الثالث الهجري: «إبراهيم بن الحارث الأنصاري، أبو إسحاق العبادي من ولد عُباده بن الصّامت، كان الإمام أحمد بن حنبل يحترمه ويعظّمه»[4]، روىٰ عن أحمد بن حنبل وأحمد بن عمر الوكيعي ويحيىٰ ابن معين وعليّ بن المديني وغيرهم، وعنه أبو داود في كتاب المسائل وأبو بكر الأثرم وأبو حاتم الرازي وابن أبي داود، قال الخلال: «من كبار أصحاب أحمد بن حنبل»[5].

---

(١) ينظر: الثقات، ٥/٣٨٠.

(٢) ينظر: الثقات: ٥/٥٢٣.

(٣) راجع: أسد الغابة: ٢/٣١٧، تهذيب الكمال: ١٤/١٨٨.

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام: ٥/١٠٧٦.

(٥) ينظر: تهذيب التهذيب: ١/١١٣.

۞ وفاته رضي الله عنه:

من المُجمع عليه وفاته رضي الله عنه سنة ٣٤هـ، عن اثنتين وسبعين سنة بالرّمْلة[١]، وقيل: ببيت المقدس وقيل: سكن بيت المقدس[٢]، وتوفيقاً بين ذلك، فإنه يجوز أن يكون قد سكن بيت المقدس زمناً، ثم انتقل إلىٰ الرملة فمات بها، ثم حُمل فدفن ببيت المقدس استحباباً، فإن قبره بالقدس الشريف معروف يزار أسفل السور الشرقي لبيت المقدس والله تعالىٰ أعلم.

وقد اختار الله تعالىٰ لعُبادة ما لم يكن ليختاره لنفسه، فأمّنه الفتنة، فمات قبل استشهاد عثمان رضي الله عنه، بسنة أو سنتين، وأدناه من البيت المقدس، وهي منزلة سألها نبي الله موسىٰ ربَّه، روىٰ الشيخان عن أبي هريرة قال: «أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَىٰ مُوسَىٰ عليهما السلام، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَىٰ رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَىٰ عَبْدٍ لَا يُرِيدُ المَوْتَ، فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ

(١) «قال الذهلي: قال يحيىٰ بن بكير: مات بالرملة سنة أربع وثلاثين، وسنه اثنتان وسبعون سنة وقال عمرو بن علي نحو ابن بكير سواء كله، وقال الواقدي نحو قول يحيىٰ أيضا، وقال ابن سعد كاتب الواقدي: أخبرني الهيثم بن عدي، قال: توفي في خلافة معاوية بالشام، وقال أبو بكر بن أبي شيبة: مات لسنتين بقيتا من إمارة عثمان وهو ابن ثنتين وسبعين سنة، وقال ابن نمير: مات بالشام سنة أربع وثلاثين، وقال خليفة: مات سنة أربع وثلاثين» ينظر: تاريخ دمشق: ٢٦/١٨٤.

(٢) راجع: معرفة الصحابة لأبي نعيم: ٤/١٩١٩ ـ ١٩٢١، الاستيعاب: ٢/٨٠٨، أسد الغابة: ٣/٥٧، الثقات: ٣/٣٠٣، الطبقات: ٣/٤١٣، سير أعلام النبلاء: ٢/٥.

بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ المَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ، فَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ...»[1].

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٣٤٠٧)، مسلم (٢٣٧٢).

المبحث الثاني
ملامح مميِّزة، ومناقبُ عظيمة

الصحابة رضوان الله عليهم أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، كانوا هم الأطهرَ قلوبا، والأصدقَ نيةً، والأعلىٰ همة، وهم وإن اجتمعوا في فضيلة الصحبة، وحازوا قصبَ السّبْق، ومنزلةً لا تُبارىٰ، يبرزها حديثه ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»(١) فإنهم قد تمايزوا بفضائل، قامت مقام الخصيصة المميِّزة، فمنهم السابقون ممن أسلموا قبل الفتح، وأولئك فضلهم الله علىٰ غيرهم فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾(٢).

هذا، ولا يخلو كتاب من كتب السنة الستة من باب في فضائل الصحابة، علىٰ اختلاف في المنهج والطريقة، كما أفرد كثير من العلماء مصنفات مستقلة في فضائل الصحابة كأحمد بن حنبل، والترمذي، والدارقطني وغيرهم، فالحديث عن فضائل الصحابة حديث قديم، جديد.

---

(١) ينظر: مسلم ٤/١٩٦٧ (٢٥٤٠)، الترمذي٥/٦٩٦ (٣٨٦١)، أحمد ١٨/٨٠ (١١٥١٦)، أبو داود: ٤/٢١٤ (٤٦٥٨)، ابن ماجه: ١/٥٧ (١٦١).

(٢) الحديد: ١٠.

وفي سيرة عبادة بن الصامت ﷺ ملامح مميزة صنعت له خصوصية لا يشاركه فيها كثير من الصحابة:

أولها: نزول القرآن في حقه وهذا غاية الشرف وتمام الذكر.

وثانيها: قرابته بالنبي ﷺ من جهة امرأته أم حرام بنت ملحان، وما ورد عن تقدير النبي ﷺ له، ودعوته إياه بكنيته، واستعماله علىٰ الصدقة.

وثالثها: سابقته التي أتاحت له شهود المواقف الفاصلة في تاريخ الدعوة، فهو مذكور مشهور، رفيع الطبقة، عظيم المناقب.

وثمة أمور أخرىٰ صنعت له الخصوصية، منها: أنه كان من الرعيل الأول من المسلمين الذين ركبوا البحر غازِين في سبيل الله، في غزوة قبرص، مع زوجته أم حرام التي سبقت لها بشرىٰ النبي ﷺ بذلك في الحديث المشهور.

۞ أولاً: نزول القرآن فيه:

نزل القرآن الكريم في صفة الصحابة، ومواقفهم، فرادىٰ وجماعات، وانفرد منهم بذكر اسمه نصاً: زيد بن حارثة ﷺ في قوله تعالىٰ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[1].

(١) من الآية ٣٧ من سورة الأحزاب.

أما ما كان من ذكر الصفة دون الاسم فمنه:

قوله تعالىٰ ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1]: في صحبة أبي بكر ﷺ في الهجرة.

وقوله سبحانه ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾[2]: في امتداح تقواه، والبشرىٰ له بالنجاة من النار[3].

كما نزل قوله تعالىٰ ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4]: فيما كان من قتل أبي عبيدة بن الجراح لأبيه في بدر[5].

وما نزل في عبادة ﷺ، وقال به غير واحد من أعلام المفسرين:

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى

(١) التوبة، ٤٠.
(٢) الليل، ١٨، ١٧.
(٣) راجع: تفسير القرطبي: ٨٨/٢٠، ابن كثير: ٤٠٧/٨، تفسير البغوي: ٢٦٤/٥.
(٤) المجادلة، ٢٢.
(٥) راجع: تفسير ابن كثير ١٠٩/٤.

قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1].

«أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَطِيَّةَ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ»[2].

وقال القرطبي في تفسيره: «نَزَلَتْ فِي عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَعَبْدِ اللهِ ابْنِ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ، فَتَبَرَّأَ عُبَادَةُ ﷺ مِنْ مُوَالَاةِ الْيَهُودِ، وَتَمَسَّكَ بِهَا ابْنُ أُبَيٍّ وَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَدُورَ الدَّوَائِرُ»، وقال غيره مثله[3].

وتفصيل ذلك: أنه تبرأ رضوان الله عليه من حلف بني قينقاع[4]، وخلفهم إلىٰ رسول الله ﷺ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «لَمّا حَارَبَتْ بَنُو قَيْنُقَاعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَشَبّثَ بِأَمْرِهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ وَقَامَ دُونَهُمْ قَالَ: وَمَشَىٰ عُبَادَةُ بْنُ الصّامِتِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ أَحَدَ بَنِي عَوْفٍ لَهُ مِنْ حِلْفِهِ مِثْلَ الّذِي لَهُمْ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيّ، فَخَلَعَهُمْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَبَرّأَ إِلَىٰ اللهِ ﷻ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ حِلْفِهِمْ وَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَتَوَلّىٰ

(١) المائدة: ٥١ ـ ٥٢.

(٢) ينظر: فتح القدير: ٦١/٢.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي، ٢١٦/٦، وانظر أيضا: تفسير البغوي: ٥٩/٢، الدر المنثور: ٩٨/٣.

(٤) قوم من اليهود وكانوا أشجع يهود، وكانوا صاغة، وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت ﷺ، وعبد الله بن أبيّ ابن سلول، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد، ونبذوا العهد. ينظر: السيرة الحلبية: ٢٨٤/٢.

اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ وَأَبْرَأُ مِنْ حِلْفِ هَؤُلَاءِ الْكُفّارِ وَوِلَايَتِهِمْ[1].

وقد كانت بين أهل المدينة من العرب ومن خالطهم من اليهود أحلاف، يحفظونها، أشبه باتفاقيات الدفاع المشترك في عصرنا.

وما نفهمه أن الآية نزلت في موقف عبادة، من نزع حلفه مع اليهود، وبقاء ابن سلول علىٰ حلفهم، وفيه شاهد علىٰ إخلاصه، ومبادرته إلىٰ الحق، وبراءته رضي الله عنه من النفاق، وأنه كان صادقاً في إيمانه، مؤثرا لأُخراه، لا يرىٰ عهداً، لمن نقض عهد الله ورسوله، ولا ركناً غير ركن الله، أمّا المنافقون فيذهبون مذهب الهوىٰ، ويتخوفون أن تدور الدائرة علىٰ أهل الحق، وهم بذلك إنما يُهلكون أنفسهم، ويركنون إلىٰ الفئة الخاسرة.

وفوقَ نَزْعِ الحِلْف كان عبادة رضي الله عنه هو المأمور بإجلاء بني قينقاع عن المدينة، وهم بما عُرفوا به من مكر قد حاولوا استمالته بحلفهم القديم، فلم يُجبهم، وطلبوا النّظِرة، فأعجلهم، تنفيذاً لأمره ﷺ، ولم يزل بهم حتىٰ خرجوا إلىٰ الشام[2].

۞ ثانياً: قرابته بالنبي ﷺ، وتقديره له واستعماله إياه:

أ ـ قرابته بالنبي ﷺ

لا شك أن القرابة بالنبي ﷺ، شرف لا يدانيه شرف، سواء بعدت

(١) انظر: سيرة ابن هشام: ٢/٤٩.

(٢) راجع: المغازي، ١/١٧٩. اللؤلؤ المكنون: ٢/٥٢٧.

القرابة أم دنت، وقرابة عبادة بالنبي ﷺ ـ إن صحّت ـ فهي من جهة زوجته أم حرام، قال ابن حجر في فتح الباري: أُمَّ حَرَامٍ أَرْضَعَتْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَصَارَتْ أُمَّهُ أَوْ خَالَتَهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ»(١).

وعلىٰ هذا القول ومن وافقه: يكون عبادة رضي الله عنه زوج خالة النبي ﷺ من الرضاعة.

وفي قرابته ﷺ بأم حرام خلاف.

وقد نقل الخلاف صاحب: غاية السُّول في خصائص الرسول فقال:

«قَالَ النَّوَوِيّ فِي شَرحه لمُسلم فِي بَاب فضل الْغَزْو فِي الْبَحْر اتّفق الْعلمَاء علىٰ أَنَّهَا (يعني: أم حرام) كَانَت محرماً لَهُ ﷺ وَاخْتلفُوا فِي كَيْفيَّة ذَلِك، فَقَالَ ابْن عبد الْبر وَغَيره كَانَت إِحْدَىٰ خالاته من الرضَاعَة، وَقَالَ آخَرُونَ بل كَانَت خَالَته لِأَبِيهِ أَو لجده لِأَن عبد الْمطلب كَانَت أمه من بني النجار هَذَا كَلَامه، وَمَا ذكره من الِاتِّفَاق علىٰ أَنَّهَا كَانَت محرماً لَهُ فِيهِ نظر وَمن أحَاط علما بِنسَب النَّبِي ﷺ وَنسب أم حرَام علم أَنه لَا محرمية بَينهمَا،.... وَالنَّبِيّ ﷺ مَعْصُوم ـ فَيُقَال كَانَ من خَصَائِصه الْخلْوَة بالأجنبية وَقد ادَّعَاهُ بعض شُيُوخنَا»(٢).

وبالنظر لمجمل الآراء فإن النووي رحمه الله نقل الإجماع علىٰ ثبوت هذه

(١) ينظر: فتح الباري، ٧٨/١١.

(٢) ينظر: غاية السُّول في خصائص الرسول: ٢١٩ ـ ٢٢٠ ـ ٢٢١.



القرابة، وانحصر الخلاف في كيفيتها، وأمّا من أنكر القرابة فبعض المتأخرين ممّن لم يثبت لهم طريق القرابة، والناظر في نسب أم حرام يرىٰ أنها نجاريّة، وبنو النجار أخوال عبد الله أبي النبي ﷺ، أو أخوال جده عبد المطلب[1]، فإذا كانت لأم حرام صلة بأبيه أو بجده، فمحتملٌ أن تكون قد أرضعته صغيراً، وأمّا قَوْل من قال بأن دخوله ﷺ علىٰ النساء كان من خصائصه لأمنة الفتنة، فلا شيء فيه، لكنه داخل في باب آخر، وحديث أم حرام في صحيح البخاري دال بلفظه ومعناه علىٰ القرابة بينها وبين النبي ﷺ، إذ «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَىٰ أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ وَكَانَتْ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَأَطْعَمَتْهُ، وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ»[2].

فلا يمكن أن يُعَدّ فعلها من تفلية رأسه الشريف، وما يستلزمه من القرب، ورفع الحشمة، داخلاً في خصوصية النبي ﷺ من الدخول علىٰ النساء لأمنة الفتنة، بل الأقرب أنه من فعل المرأة مع ذوي رحمها، وما يدريك وقد سبق القول بأن عبادة تزوج بأم ملحان بعد زواج سابق بغيره، وكان لها من هذا الزواج ولد، فيحتمل أن يكون السبب في الزيجة تلك القرابة، أما من يبحثون عن الدليل علىٰ القرابة فلهم أن ينظروا في الحديث فإنه دالٌ لا لبس فيه، وإلا فليأتوا بفعل كهذا فعلته امرأة مع النبي ﷺ وليست من محارمه.

---

(١) راجع: أشرف الوسائل إلىٰ فهم الشمائل ص: ٤٧.

(٢) ينظر: صحيح البخاري: ٩/٣٤ (٧٠٠١).

ب ـ تقدير النبي ﷺ له، واستعماله إياه

كان النبي ﷺ ينزل الناس منازلهم، ويناديهم بأحب أسمائهم إليهم، وكان عبادة رضي الله عنه من نسل شريف، وقوم انعقدت لهم السيادة كابراً عن كابر، فكان ﷺ يدعوه بكنيته مقدمة علىٰ اسمه، ولا يناديه به مُجردا، كما استعمله ﷺ علىٰ الصدقة، ولا يُستعمل عليها إلا أمين مأمون، موضع ثقة.

«عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُبَادَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَهُ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا الْوَلِيدِ اتَّقِ لَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِبَعِيرٍ تَحْمِلُهُ لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةٌ لَهَا ثُؤَاجٌ»، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ ذَلِكَ لَكَائِنٌ»، قَالَ: «أَيْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ» قَالَ: «فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَعْمَلُ عَلَىٰ شَيْءٍ أَبَدًا أَوْ قَالَ: عَلَىٰ اثْنَيْنِ»[1].

ويدل الحديث علىٰ شدة خشية عُبادة رضي الله عنه ـ مع أمانته ـ، من تبِعة هذه الأمانة.

۞ ثالثاً: سابقته:

قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2].

---

(١) ينظر: السنن الكبرىٰ للبيهقي ٤/٢٦٧ (٧٦٦٣).

(٢) من الآية ١٠، سورة: الحديد.

أي: «لا يتساوىٰ في الفضل والأجر من أنفق ماله، وبذل نفسه في سبيل الله قبل فتح مكة، أو قبل صلح الحديبية، مع من أنفق وقاتل بعد الفتح، أولئك الذين كتب الله لهم السبق في الإنفاق والقتال أرفع منزلة وأجل قدرا من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا»(١).

وفي تفسير قوله تعالىٰ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾(٢).

أنهم «السَّابِقُونَ إِلَىٰ الْإِيمَانِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ»(٣).

قيل إن الحسن البصري رحمه الله أتىٰ إلىٰ هذه الآية ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ فقال «أمّا السَّابِقُونَ فَقَدْ مَضَوْا وَلَكِن اللهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أصحاب الْيَمِينِ» فلمّا قرأ ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾(٤) «قال: ثُلَّةٌ مِمَّنْ مَضَىٰ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ»(٥).

وقد كتب الله لعبادة رضي الله عنه ذلك السبق، مع علو الذِّكر، وكانت أولىٰ ارتقاءاته في سلم المجد، مبايعته في العقبة الأولىٰ ونقابته في الثانية، مع ما جاء من أقوال في سبق إسلامه للعقبة الأولىٰ.

جاء في الاستيعاب: أن عبادة كان نقيبا(٦)، وشهد العقبة الأولىٰ

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط: ١٢٨٥/٩.
(٢) الواقعة، ١١، ١٠.
(٣) ينظر: تفسير القرطبي: ١٩٩/١٧.
(٤) الواقعة، ١٣.
(٥) ينظر: تفسير ابن كثير: ٨/٨.
(٦) وَهُوَ كَالْعَرِيفِ عَلَىٰ الْقَوْمِ، الْمُقَدَّمِ عَلَيْهِمُ، الَّذِي يَتَعَرَّفُ أَخْبَارَهُمْ، وَيُنَقِّبُ عَنْ أَحْوَالِهِمْ أَيْ يُفَتِّشُ. ينظر: لسان العرب، (٧٦٩/١).

والثانية والثالثة[1].

والأصل أنهما عقبتان: أُولىٰ، وثانية، فيكون قول صاحب الاستيعاب بتقدير أن مبايعة الأنصار فرادىٰ في أول الأمر كانت واحدة.

أو أنها كانت بيعة الثمانية الذين ذكرهم ابن كثير في البداية والنهاية (بَابُ بَدْءِ إِسْلَامِ الْأَنْصَارِ رضي الله عنهم) وَهُمْ: مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ، وَأَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ، وَذَكْوَانُ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ قَيْسٍ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، وَأَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ، وَعُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ. فَأَسْلَمُوا وَوَاعَدُوهُ إِلَىٰ قَابِلٍ، فَرَجَعُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَدَعَوْهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ[2].

وذكرهم ابن سعد في الطبقات ـ باب ذكر دعاء رسول الله ﷺ الأوس والخزرج قبل العقبة الأولىٰ[3]، وذكر في موضع آخر أنهم كانوا ستة نفر[4].

وفي ذلك دليل علىٰ سبق إسلامه رضي الله عنه لبيعة العقبة الأولىٰ، وأنه كان سادس ستة أسلموا من الأنصار في أول مَنْ أسلم.

وأورد ابن هشام في السيرة: خبر مبايعته العقبتين، ونقابته في الثانية[5].

(١) ينظر: الاستيعاب ٢/٨٠٩.
(٢) ينظر: البداية والنهاية: ٤/٣٧٣.
(٣) راجع: الطبقات الكبرىٰ: ١/١٦٩.
(٤) راجع: الطبقات: ١/١٧٠. وهو الراجح علىٰ قول صاحب اللؤلؤ المكنون، ١/٥٥٨.
(٥) راجع: سيرة ابن هشام: ١/٤٣١ ـ ٤٤٤.

ولتوضيح الفرق بين بيعتي العقبة: الأولىٰ، والثانية، أقول:

إن: الْأُولَىٰ كانت عَلَىٰ بَيْعَةِ النِّسَاءِ: «يَعْنِي عَلَىٰ وَفْقِ مَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ بَيْعَةُ النِّسَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَكَانَ هَذَا مِمَّا نَزَلَ عَلَىٰ وَفْقِ مَا بَايَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، وَلَيْسَ هَذَا بِعَجِيبٍ؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِمُوَافَقَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي غَيْرِ مَا مَوْطِنٍ»(١).

وقيل: «أَرَادَ ببيعة النِّسَاء أَنهم لم يبايعوه علىٰ الْقِتَال وَكَانَت مبايعته للنِّسَاء أَنه يَأْخُذ عليهنّ الْعَهْد والميثاق، فَإِذا أقررن بألسنتهن، قَالَ: قد بايعتكن»(٢).

«وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَكُنْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي الْحَرْبِ، فَلَمَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ فِيهَا، بَايَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْعَقَبَةِ الْأَخِيرَةِ عَلَىٰ حَرْبِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ»(٣).

وفي نص البيعة في العقبة الأولىٰ جاء في صحيح البخاري من حديث عبادة رضي الله عنه:

عنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الخَيْرِ، عَنْ الصُّنَابِحِيِّ، عَنْ عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي مِنَ النُّقَبَاءِ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ،

(١) ينظر: البداية والنهاية ٤/٣٧٦

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام ـ حاشية صفحة: ١/٤٣١.

(٣) ينظر: سيرة ابن هشام: ١/٤٥٤.

وَقَالَ: «بَايَعْنَاهُ عَلَىٰ أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ، وَلَا نَنْتَهِبَ، وَلَا نَعْصِيَ، بِالْجَنَّةِ، إِنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ، فَإِنْ غَشِينَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، كَانَ قَضَاءُ ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ»(١).

وتجدر الإشارة إلىٰ وجود خلاف حول كون الحديث السابق خاصا ببيعة العقبة أو ببيعة أخرىٰ تمت بعد فتح مكة، فإمّا أن يكون عبادة ﵁ قد بايع النبي ﷺ في العقبة الأولىٰ علىٰ وفق ما نزل بعد ذلك في الممتحَنَة، فهذا رأي، أو يكون حديث البخاري الذي تقدم خاصا بالبيعة التي بعد الفتح(٢).

ويكون نص البيعة في العقبة الأولىٰ ما رواه الإمام البخاري:

عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَادَةُ بْنُ الوَلِيدِ، أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي المَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ»(٣).

وما جاء عند أحمد في المسند:

عَنْ سَيَّارٍ، وَيَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ الْقَاضِي، أَنَّهُمَا سَمِعَا عُبَادَةَ بْنَ الْوَلِيدِ

(١) صحيح البخاري، ٥/٥٥ (٣٨٣٩).

(٢) انظر تفصيل الخلاف في: السيرة الحلبية ٢/١٠، واللؤلؤ المكنون ١/٥٦٤، وتعليق الشيخ الأرناؤوط في حاشية سير أعلام النبلاء: ٢/٧ ـ ٨.

(٣) صحيح البخاري: ٩/٧٧ (٧١٩٩).

ابْنِ عُبَادَةَ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ، أَمَّا سَيَّارٌ فَقَالَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَمَّا يَحْيَىٰ فَقَالَ: عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي عُسْرِنَا، وَيُسْرِنَا، وَمَنْشَطِنَا، وَمَكْرَهِنَا، وَالْأَثَرَةِ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَنَقُومَ بِالْحَقِّ حَيْثُ كَانَ، وَلَا نَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ»[1].

أما البيعة في العقبة الثانية (بيعة الحرب)، فقد كانت شروطها قسمةً بين النبي ﷺ، وبين البراء بن معرور[2] سيد قومه، ابتدأ ﷺ فقال:

«أُبَايِعُكُمْ عَلَىٰ أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ. فكان أن أَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا، لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا[3]، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَنَحْنُ وَاللهِ أَبْنَاءُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ[4]، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ»[5].

(١) ينظر: مسند أحمد: ٤١١/٢٤ (١٥٦٥٣).

(٢) ابن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد ابن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاريّ الخزرجيّ السّلمي، كان من النفر الذين بايعوا البيعة الأولىٰ بالعقبة، وهو أول من بايع في قول ابن إسحاق، وأول من استقبل القبلة، وأول من أوصىٰ بثلث ماله، وهو أحد النّقباء، مات قبل الهجرة. ينظر: الإصابة: ٤١٥/١ (بتصرف يسير).

(٣) أراد: أعراضنا.

(٤) أي: السلاح.

(٥) ينظر: سيرة ابن هشام، ٤٤٢/١.

۞ شهوده بدرًا[1]:

لبدر من الخصوصية ما ليس لغيرها، فقد كانت أول لقاء بين الحق والباطل في ساحة الحروب، سمّاها الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾[2].

«يقال لها بدر العظمىٰ، ويقال لها بدر القتال، ويقال بدر الفرقان: لأن الله تعالىٰ فرق فيها بين الحق والباطل»[3].

وقد بشّر النبي ﷺ أهلها بالمغفرة التامة: فقال في بعض حديثه:

«وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُم»[4].

فجُمع لعبادة بن الصامت بشهود بدر[5] منقبة: «البدريّ»، وأنعِم بها من منقبة، بعد أُختها الأولىٰ التي حاز بها لقب: «العقبيّ».

واستكمالاً لهذه الأنواط الربانية، والارتقاءات الإيمانية، يحوز عبادة لقبا آخر هو لقب: «الشجريّ»، فقد ثبت أن عبادة رضي الله عنه كان ممن

---

(١) غزوة بَدْرٌ الْكُبْرَىٰ وَقَعَت فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وكَانَتْ فِي رَمَضَانَ مِنْهَا، وَقَدْ فَرَّقَ اللهُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَىٰ وَالْغَيِّ. ينظر: البداية والنهاية ٥/٥.

(٢) من الآية: ٤١، من سورة: الأنفال.

(٣) ينظر: السيرة الحلبية: ٢/١٩٧.

(٤) الحديث بتمامه عند البخاري: (٣٠٠٧) و(٣٠٨١)، مسلم (٢٤٩٤).

(٥) شهوده بدرا مُجمع عليه، ولابن الجوزي قول في تخلفه عنها يُفنّد في موضعه بإذن الله.

بايع تحت الشجرة، في عمرة الحديبية:

ففي مسند أحمد:

حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ: «أَبُو الْوَلِيدِ بَدْرِيٌّ عَقَبِيٌّ شَجَرِيٌّ وَهُوَ نَقِيبٌ»(١).

هذا، وتعرف هذه البيعة تحت شجرة الحديبية ببيعة الرضوان، لِما نزل فيها من قوله تعالىٰ ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(٢).

وخبرها أن: رسول الله ﷺ خرج في السنة السادسة للهجرة زائرا لمكة، محرماً بالعمرة، لا ينوي حربا، وخرج معه بعض المهاجرين والأنصار، فما كان من مشركي مكة إلا أن استعدوا لقتاله، وأقسموا ألا يدخلها عليهم أبداً، فتجنبهم ﷺ وسلك بعض الشعاب، حتىٰ رجعوا عنه، ثم كانت بعد ذلك مفاوضات، يُرسِل فيها المشركون رسلاً، حتىٰ أرسل النبي عثمان رضي الله عنه رسولا، فتأخّر، وأُشِيع أنه قتل، فهنا أخذ النبي ﷺ البيعة من المسلمين علىٰ الموت، أو الصبر، ثم انتهىٰ الأمر إلىٰ صلح الحديبية(٣).

وللنبي ﷺ حديث في فضلها يقول فيه: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ

(١) مسند أحمد، ٣٩٣/٣٧ (٢٢٧٢٠).

(٢) الفتح، ١٨.

(٣) راجع: سيرة ابن هشام: ٢٠٨/٢ ـ وما بعدها، صحيح الأثر، وجميل العبر: ٢٣٥ وما بعدها.

تَحْتَ الشَّجَرَةِ»[1].

فيالها من بشريات متتابعة لعبادة ﵁ بنعيم الجنة، وعلو الدرجة، بشريات لم تنقطع بانقطاع الوحي، فيشاء الله تعالىٰ أن يكون لعبادة موعد مع سبق آخر، وبشرىٰ أخرىٰ، تتحقق بعد ستة عشر عاما من وفاة النبي ﷺ، حين بشَّر أم حرام زوجة عبادة ﵁ أن تكون في أول من يركب البحر غازيا من أمته[2]، في غزوة عرفت بغزوة قبرس أو (قبرص)[3] وهي أول غزوة للمسلمين يركبون فيها البحر، وكان في أوائلهم عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام، وذلك في السنة السابعة والعشرين للهجرة، غزاها معاوية حين كان نائبا لعثمان بن عفان ﵁ علىٰ الشام[4].

فهذا رجل من السابقين من الأنصار لم يُبشر بالجنة، لكنه شهد مواطن الغفران، التي بُشر أهلها بالجنة: في بدر، والحديبية، رجل كُتب له السبق في الإيمان، والسبق في البراءة من حلف الكفار، ونزل فيه القرآن، مفرّقاً بينه وبين المنافقين، ممّن يخافون الدوائر، تجمعه بالنبي ﷺ

(١) ينظر: النسائي: ٢٦٤/١٠ (١١٤٤٤)، الترمذي: ٦٩٥/٥ (٣٨٦٠)، وأحمد: ٩٣/٢٣ (١٤٧٧٨).

(٢) تقدم ذكر الحديث، في ترجمتها في المبحث الأول.

(٣) جَزِيرَةٌ غَرْبِيٌّ بِلَادِ الشَّامِ فِي الْبَحْرِ مُخْلَصَةٌ وَحْدَهَا، وَلَهَا ذَنَبٌ مُسْتَطِيلٌ إِلَىٰ نَحْوِ السَّاحِلِ مِمَّا يَلِي دِمَشْقَ، وَغَرْبِيُّهَا أَعْرَضُهَا، وَفِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمَعَادِنُ، وَهِيَ بَلَدٌ جَيِّدٌ، وَكَانَ فَتْحُهَا عَلَىٰ يَدَيْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، رَكِبَ إِلَيْهَا فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. انظر: البداية والنهاية، ٢٢٨/١٠.

(٤) راجع: البداية والنهاية، ٢١٦/٩ ـ ٢١٧.

محبة، وقرابة، وإعزاز، وائتمان، فلا يناديه باسمه مجرداً وإنما بيا (أبا الوليد)، ويشاء الله تعالىٰ له أن يجاهد علىٰ فرسه، يحضر به المشاهد كلها، ثم يركب البحر غازياً، فانظر إليه وقد حاز فوق ما حاز من المناقب أن كُتِب في سجله أنّه جاهد في سبيل الله في البر والبحر.



المبحث الثالث

جهاد بالسيف والكلمة

ليس الجهاد بموقوف علىٰ إشهار السيوف، فهذا وقته المعارك، أما الجهاد بكلمة الحق، والنصيحة وإن ثقلت، فميدان واسع يمتد امتداد حياة المرء، وفيه عنوان صدقه، وبرهان شجاعته، وقد يُقوّم اللسان ما لا يقومه الحسام، ولعبادة رضي الله عنه مسيرة طويلة مع الجهاد، ومواقف مذكورة صدع فيها بكلمة الحق غير هيّاب، لذا قرنت بين جهاده بالسيف وشدته في الحق لأن منطلقهما واحد.

أولاً: جهاده بالسيف

لعبادة مسيرة طويلة مع الجهاد، تاريخه فيها، من تاريخ الفتوحات نفسها.

وهو من أولئك السابقين إلىٰ الإسلام، الصادقين في ما عاهدوا الله عليه، خرج بنفسه وماله مجاهدا، ينشر دعوة الحق، ويمْهد السبيل للاّحقين، علىٰ علم منه بفضل فريضة الجهاد، وكونها من أعظم القُرُبات، التي خصّها الله بالذكر والإشادة، وأعظَمَ فيها الأجور، قال تعالىٰ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾(١).

وقال عزّ من قائل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(٢).

وفي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»(٣).

وقد وعىٰ عُبادة (رضي الله عنه) كل ذلك، فنشط عن يقين، وحماسة: ينشر دين الله، ويُخرج الناس من عبادة العباد، إلىٰ عبادة الله وحده، تسير به سفينة الجهاد محفوفة برياح النصر من عصر إلىٰ عصر:

(١) التوبة: ١١١.
(٢) الصف: ١٠ ـ ١٣.
(٣) ينظر: صحيح البخاري، ١/١٤ (٢٦).

۞ جهاده في عصر النبوة

شهد ﷺ المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، فشهد بدرا[١]، وأحدًا[٢]، والخندق[٣]، وغيرها[٤].

وسوف أقف علىٰ ما ثبت من روايات أو أخبار صحيحة تفيد مشاركته في كل غزوة ما أمكن.

۞ شهوده بدراً

المقطوع به أن عبادة رضوان الله عليه كان ممّن شهد بدراً، وليس خافياً ما لأهل بدر من عظيم المنزلة.

ولم أقف علىٰ شيء استأثر به عبادة يوم بدر، سوىٰ ما نقله الواقدي[٥] من قول عبادة ﷺ: «سَلَّمْنَا الْأَنْفَالَ لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلَمْ يُخَمّسْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَدْرًا».

---

(١) غزوة بَدْرٌ الْكُبْرَىٰ وَقَعَت فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وكَانَتْ فِي رَمَضَانَ مِنْهَا، وَقَدْ فَرَّقَ اللَّهُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَىٰ وَالْغَيِّ. ينظر: البداية والنهاية ٥/٥.

(٢) وقعت غَزْوَةَ أُحُدٍ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ. ينظر: سيرة ابن هشام: ٢/٦٠ وما بعدها.

(٣) قَالَ الزرقاني: «وَاخْتلف فِي تاريخها، فَقَالَ مُوسَىٰ بن عقبَة فِي مغازيه الَّتِي شهد مَالك والشافعيّ بِأَنَّهَا أصح الْمَغَازِي، كَانَت سنة أَربع». قَالَ الْحَافِظ: «وَتَابعه علىٰ ذَلِك الإِمَام مَالك». ينظر: تعليق المحقق في حاشية ابن هشام ٢/٢١٤.

(٤) راجع: الاستيعاب، ٢/٨٠٩، تهذيب الكمال، ١٤/١٨٦.

(٥) المغازي، ١/٩٩.

وما جاء في مسند أحمد:

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا، فَالْتَقَىٰ النَّاسُ فَهَزَمَ اللهُ الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَتْ طَائِفَةٌ فِي آثَارِهِمْ يَهْزِمُونَ وَيَقْتُلُونَ، وَأَكَبَّتْ طَائِفَةٌ عَلَىٰ الْعَسْكَرِ يَحْوُونَهُ وَيَجْمَعُونَهُ، وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَا يُصِيبُ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً...»[1].

وهذا الحديث، وما تقدّم عند الواقدي، فيه دلالة واضحة، علىٰ تنزُّه عبادة رضي الله عنه عن المسارعة إلىٰ الغنائم، وحرص النفوس علىٰ عَرَض الدنيا، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ عَنِ الْأَنْفَالِ. فَقَالَ: «فِينَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ بَدْرٍ نَزَلَتْ حِينَ اخْتَلَفْنَا فِي النَّفَلِ، وَسَاءَتْ فِيهِ أَخْلَاقُنَا، فَانْتَزَعَهُ اللهُ مِنْ أَيْدِينَا، وَجَعَلَهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَسَمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ بَوَاءٍ» يَقُولُ: عَلَىٰ السَّوَاءِ[2].

وربما لا يكون من الإنصاف أن نطلب لعبادة رضي الله عنه موقفا فرديا يستأثر به أو يرويه عن نفسه، فهو معدود في الأنصار، حاضر في مواقفهم الجامعة، وإن كان المُتكلم غيره، وقد سبق بدرًا موقف فيه غناء، وفيه عظيم بيان، وثناء علىٰ صدق الأنصار، وحسن بلائهم، فقد حَدَثَ أنه (ﷺ) قد تخوّف ألا تكون للأنصار نُصرة إلا علىٰ عدو يُداهمهم، فلا ينصاعوا لأمره

(١) الحديث في مسند أحمد، ٤٢١/٣٧ (٢٢٧٦٢)، قال الأرناؤوط: حسن لغيره.
(٢) مسند أحمد، (٢٢٧٤٨). وقال الأرناؤوط: حسن لغيره.

(ﷺ) إن هو أمرهم بالخروج إلىٰ بدر، فكان أن أحسّ سعد بن معاذ بذلك فقال قولته الباقية «آمَنَّا بِكَ، وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَىٰ ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَكَ، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَىٰ بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا، إِنَّا لَصُبُرٌ فِي الْحَرْبِ، صُدُقٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ، لَعَلَّ اللهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ عَلَىٰ بَرَكَةِ اللهِ»[1].

۞ شهوده أُحداً:

رغم ما ثبت من إجماع علىٰ شهوده ﷺ أحدا، فإني لم أعثر له علىٰ حديث يذكرُ فيه شيئا عنها، وقد أورد ابن هشام في السيرة في من استشهد يوم أحد من الأنصار من بني عوف غيرَ واحد من قرابة عبادة، فقال «وَمِنْ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي سَالِمٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مَالِكِ ابْنِ الْعَجْلَانِ بْنِ زَيْدِ بْنِ غَنْمِ بْنِ سَالِمٍ: نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ، وَنُعْمَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ فِهْرِ ابْنِ غَنْمِ بْنِ سَالِمٍ»[2].

وفيهم من أبناء عمومته، وفيهم خاله عباس بن عبادة بن نضلة (رضي الله عنهم أجمعين).

---

(١) انظر: البداية والنهاية، ٥/٧٠.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، ٢/١٢٦.

۞ شهوده غزوتَي بني قينقاع، والمُرَيْسيع (بني المُصْطَلِق)[1].

سبق الحديث عن دوره ﷺ في إجلاء بني قينقاع، وأورد الواقدي ما يفيد شهوده غزوة المُرَيْسِيع (بني المُصْطلِق)[2]، وثمة حادثة ـ ينبغي الإشارة إليها ـ جرت بعد غزوة المريسيع، وكادت أن تؤدي إلىٰ فتنة عظيمة، فقد حدثت مشادة علىٰ السّقاية بين سِنَانِ بْنِ وَبَرٍ الْجُهَنِيّ ـ وهو حليف لبني سالم رهط عُبادة بن الصامت، وبين جَهْجَا، ويقال (جَهْجاه) ابْنُ سَعِيدٍ الْغِفَارِيّ وكان أجيرا لعُمر بن الخطاب ﷺ، فلطم جهجا سنانا فسال منه الدم، وصاح كل منهما علىٰ قومه، فشهَّر الأوس والخزرج سيوفهم، وجاء نفر من المهاجرين فكلموا سنانا في أن يترك حقه درءاً للفتنة، فأبىٰ قوم سنان ذلك حتىٰ يرجعوا إلىٰ رسول الله ﷺ في الأمر، وكلم سنان حلفاءه وكان منهم عُبادة بن الصامت ﷺ، فأشار عليه أن يترك حقه[3]، فرضي الله عن هذا الرجل الذي طهّره الإسلام من عصبية الجاهلية، ودرَأَ به الفتنة.

---

(١) وبنو المُصْطَلِق: بطن من خزاعة، وهم بنو جَذيمة، وجذيمة هو المصطلق، من الصَلَق: وهو رفع الصوت. والمُرَيْسِيع: اسم ماء من مياههم، أي من ماء خزاعة مأخوذة من قولهم: رَسَعَتْ عين الرجل إذا دمعت من فساد، وذلك الماء في ناحية قديد. وسببها أنه ﷺ بلغه أن الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق ﷺ، جمع لحرب رسول الله ﷺ من قدر عليه من قومه ومن العرب فندب رسول الله ﷺ الناس إليهم، فأسرعوا الخروج، وكان في شعبان لليلتين خلتا منه سنة خمس من الهجرة، وقيل أربع. ينظر: السيرة الحلبية ٢/٣٧٧ ـ ٣٧٨.

(٢) راجع: المغازي للواقدي: ٢/٤٢٠.

(٣) راجع: المغازي للواقدي: ٢/٤١٥ ـ ٤١٦.

۞ شهوده حُنَيْنًا[1]:

وقعت هذه الغزوة في السنة الثامنة بعد فتح مكة، واجتمع فيها للمسلمين من العدد ما لم يجتمع لهم من قبل، فبلغوا اثني عشر ألفاً، أقبل بهم النبي ﷺ يريد هَوَازِن، فكان أن كمنوا له بحنين في مضايق الوادي، وثارت خيولهم في وجه المسلمين في عَمَاية الصبح، فانهزموا، وثبت النبي ﷺ في نفر من أصحابه، ثم كان تأييد الله لرسوله بإنزال الملائكة، ومناداته ﷺ علىٰ الأنصار، فأقبلوا إليه، وقد هزم الله المشركين ولم يضرب أحد من المسلمين بسيف أو برمح[2].

وفي ذلك نزل قوله تَعَالَىٰ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

ودليل شهود عبادة رضوان الله عليه حنينا هذا الحديث:

---

(١) وحُنين: واد قبل الطائف، وقيل: واد بجنب ذي المجاز، بينه وبين مكة ثلاث ليال، وقيل: بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا. معجم البلدان: ٢/٣١٣.

(٢) راجع: البداية والنهاية: ٧/١٥ومابعدها، وسيرة ابن هشام ٢/٤٣٧ ـ وما بعدها.

(٣) التوبة: ٢٥ ـ ٢٦.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَيَّاشٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَىٰ، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ أَبِي سَلَّامٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَبَرَةً مِنْ جَنْبِ بَعِيرٍ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِي مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكُمْ قَدْرُ هَذِهِ إِلَّا الْخُمُسُ، وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ»(١).

۞ مشاركته في سرية الخَبَط:

ورد خبر اشتراكه رضي الله عنه في سرية أبي عبيدة بن الجراح إلىٰ سيف البحر والمعروفة بسرية الخبط(٢) من طريق ابن إسحاق: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عُبَادَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً إِلَىٰ سيفِ الْبَحْرِ، عَلَيْهِمْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَزَوَّدَهُمْ جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ، فَجَعَلَ يَقُوتُهُمْ إِيَّاهُ، حَتَّىٰ صَارَ إِلَىٰ أَنْ يَعُدَّهُ عَلَيْهِمْ عَدَدًا. قَالَ: ثُمَّ نَفِدَ التَّمْرُ، حَتَّىٰ كَانَ يُعْطَي كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ تَمْرَةً. قَالَ: فَقَسَمَهَا يَوْمًا بَيْنَنَا. قَالَ: فَنَقَصَتْ تَمْرَةٌ عَنْ

(١) ينظر: الحديث في سنن النسائي ٤/٣٢٨ (٤٤٢٤).

(٢) سميت بسرية الخَبَط لأنهم أكلوا فيها ورق السّمُر لما أصابهم من شدة الجوع، وكانت هذه السرية علىٰ الأغلب إلىٰ حي من جهينة علىٰ ساحل البحر، وقيل: لترصد عير لقريش، وكانوا يسيرون علىٰ أقدامهم ليس معهم حَمُولة، وعددهم ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعا، ثم إن الله تعالىٰ أخرج لهم حوتاً من البحر فأكلوا منه، واختُلف في تاريخها فقيل سنة ثمان، وقيل قبلها. راجع: مغازي الواقدي: ٢/٧٧٤ وما بعدها، السيرة الحلبية: ٣/٢٦٩ ـ ٢٧٠.

رَجُلٍ، فَوَجَدْنَا فَقْدَهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ. قَالَ: فَلَمَّا جَهَدَنَا الْجُوعُ أَخْرَجَ اللهُ لَنَا دَابَّةً مِنْ الْبَحْرِ، فَأَصَبْنَا مِنْ لَحْمِهَا وَوَدَكِهَا...»[1].

وذكره ابن حجر جمعا بين رواية البخاري عن جابر بن عبد الله، وما وقع في آخر صحيح مسلم من طريق عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت[2].

فهذا موطن آخر من مواطن الصبر، يخرج فيه عبادة ﷺ في سبيل الله ماشياً، يكابد الجوع، والمشقة، ويعاين الهلَكَة، حتىٰ أتىٰ الله تعالىٰ بفرجه، وأظهر لجنده علامة تأييده، ونصره، فأخرج لهم حوتاً من البحر، وهو علىٰ ما يشاء قدير.

۞ جهاده في عصر الراشدين ﷺ

ظل عبادة ﷺ علىٰ عهده مع الله ورسوله ﷺ، يبذل مهجته، ويطلب الشهادة في مظانِّها، ينفِرُ في الخفة والثقل، ويتجشم المشاق ابتغاء الأجر، فلم يكن يدَعُ الكتاب ومُهمة التعليم، إلا ليمسك بالسيف، في مسيرة طويلة، امتدت بطول عمره.

۞ جهاده في جبهة الشام

بدأت رحلة عُبادة ﷺ مع الجهاد في عصر الراشدين، بمُهمة

(١) ينظر: سيرة ابن هشام، ٢/٦٣٢ ـ ٦٣٣.

(٢) ينظر: فتح الباري: ٨/٨٠ ـ ٨١.

تعليمية، وترشيح من الفاروق عُمر، بعد أن وصله كتاب «يزِيد بْن أبي سُفْيَان[1] أَن أهل الشَّام كَثُرُوا واحتاجوا إِلَىٰ من يعلمهُمْ الْقُرْآن ويفقههم فَقَالَ عمر أعينوني بِثَلَاثَة قَالُوا هَذَا شيخ كَبِير لأبي أَيُّوب وَهَذَا سقيم لأُبَيّ فَخرج معَاذ وَعبادَة وَأَبُو الدَّرْدَاء فَقَالَ ابدؤوا بحمص فَإِذا رَضِيتُمْ مِنْهَا فَليخْرجْ وَاحِد إِلَىٰ دمشق وَآخر إِلَىٰ فلسطين فَأَقَامَ بهَا عبَادَة وَخرج أَبُو الدَّرْدَاء إِلَىٰ دمشق ومعاذ إِلَىٰ فلسطين...»[2].

وتكمن أهمية هذا الخبر في كونه مفتاحا لتحديد زمن وصول عُبادة ابن الصامت إلىٰ الشام، ويُفهم من نصه:

أن الكتاب قد ورد من يزيد بن أبي سفيان بالشام إلىٰ عمر بالمدينة، بعد فتح دمشق، وحمص، ولمّا كان فتح دمشق في سنة ١٣ ـ ١٤هـ، وفتح حمص في سنة ١٤ ـ ١٥هـ[3]، يكون زمن وصول الكتاب حوالي سنة ١٥هـ.

يعضد ذلك ما ذكره البلاذُري «لمّا افتتح أَبُو عُبَيْدة بْن الجراح دمشق

(١) يَزِيْدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ بنِ حَرْبِ بنِ أُمَيَّةَ الأُمَوِيُّ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنَافِ بنِ قُصَيٍّ الأُمَوِيُّ. أَخُو مُعَاوِيَةَ مِنْ أَبِيْهِ. وَيُقَالُ لَهُ: يَزِيْدُ الخَيْرُ. أَخُو أُمِّ المُؤْمِنِيْنَ أُمِّ حَبِيْبَةَ. كَانَ مِنَ العُقَلَاءِ الأَلِبَّاءِ، وَالشُّجْعَانِ المَذْكُوْرِيْنَ، أَسْلَمَ يَوْمَ الفَتْحِ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَشَهِدَ حُنَيْناً. تُوُفِّيَ يَزِيْدُ فِي الطَّاعُوْنِ، سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ، وقيل: وتوفي سنة تسع عشرة بدمشق، انظر: سير أعلام النبلاء، ٣٢٨/١ ـ ٣٣٠، تاريخ دمشق: ٢٤٣/٦٥.

(٢) ينظر: التاريخ الأوسط للبخاري (المطبوع باسم: التاريخ الصغير): ٤١/١.

(٣) راجع: تاريخ دمشق: ١٣٥/٢، ٤٧٦/٢٥، البداية والنهاية: ٥٧٧/٩ ـ ٤٩.

استخلف يزيد بْن أبي سفيان علىٰ دمشق، وعَمْرا بن العاص عَلَىٰ فلسطين، وشُرَحْبيل عَلَىٰ الأردن، وأتىٰ حمص فصالح أهلها، ثُمَّ خلّف بحمص عبادة بْن الصامت الأنصاري»[1]، ويستخلص منه:

* أن حمص فُتحت صُلحاً، لذا رأىٰ عمر بن الخطاب أن يبدأ بها، لأن أهلها أقرب للاستمالة.

* أن وصول عُبادة إليها كان بعد فتحها بفترة قصيرة.

* أن استخلاف أبي عبيدة بن الجراح لعُبادة علىٰ حمص، كان تمكينا له لأداء رسالته في تعليم أهلها، وتنفيذا لأمر الفاروق عمر.

وبالنظر إلىٰ جملة القرائن التاريخية، يمكننا القول: بأن قدوم عُبادة ابن الصامت إلىٰ حمص، واستخلافه عليها كان قُبيل موقعة اليرموك[2] بحوالي سبعة أشهر[3]، ورغم أنه لا يوجد من الأدلة ما يثبت شهود عُبادة رضي الله عنه اليرموك، فإننا نجد عند البلاذري أخباراً تدل علىٰ مشاركة فاعلة

(١) فتوح البلدان: ١/١٣٢.

(٢) «عَنْ يَزِيدَ بْنِ عُبَيْدَةَ وَالْوَلِيدِ وَابْنِ لَهِيعَةَ وَاللَّيْثِ وَأَبِي مَعْشَرٍ، أَنَّهَا كَانَتْ فِي سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ بَعْدَ فَتْحِ دِمَشْقَ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: كَانَتْ فِي رَجَبٍ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ. وَقَالَ خَلِيفَةُ بْنُ خَيَّاطٍ: قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: كَانَتْ وَقْعَةُ الْيَرْمُوكِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِخَمْسٍ مَضَيْنَ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ. قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ: وَهَذَا هُوَ الْمَحْفُوظُ، وَمَا قَالَهُ سَيْفٌ مِنْ أَنَّهَا قَبْلَ فَتْحِ دِمَشْقَ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، فَلَمْ يُتَابَعْ عَلَيْهِ» ينظر: البداية والنهاية: ٩/٥٤٥ ـ ٥٤٦.

(٣) بحساب أن اليرموك قد وقعت في رجب ١٥هـ، وفتح حمص في ذي القعدة ١٤هـ.

لعُبادة بن الصامت علىٰ مستوىٰ القيادة في معارك سبقت موقعة اليرموك، حيث يقول «ورد عُبادة والمسلمون السواحل ففتحوا مدينة تعرف ببلدة...، افتتح أَبُو عُبَيْدة اللاذقية وجبلة وأنطَرْطُوس عَلَىٰ يدَي عبادة ابْن الصامت»[1].

وهذا يدل علىٰ أن حمص كانت القاعدة لفتح اللاذِقيّة وجَبَلَة وأنطرطوس وهي بلاد ساحلية تم الاتجاه لتأمينها من غزوات الروم، كما أن فيه إشارة غير خافية إلىٰ الروح المعنوية العالية التي بثها قدوم عُبادة رضي الله عنه إلىٰ حمص في نفوس المجاهدين، وأنه التحق فور وصوله بركب الجهاد، رغم أنه أُرسل بالأساس مُعلما، وفي هذا دليل علىٰ الصدق، والحماسة، وعلو الهمة، ولو أن عُبادة رضي الله عنه اكتفى بصفة المُعلّم، لما استطاع أحد أن يلومه، لكنه نهض وشمّر، واستنهض المجاهدين، وكان في المُقدمة.

ورغم ما تشير إليه الأخبار من مشاركة قوية لعبادة بن الصامت في المعارك التي دارت في محيط حمص، والساحل المقابل لها، فإننا لا نعثر علىٰ خبر يدل علىٰ مشاركته في معارك فلسطين، وهذا يعني، أنه عاد ليستقر بحمص بعد معارك الساحل التي فتحت فيها: اللاذقية وأنطرطوس، وباشر مهمته الأساسية كمُعلّم.

وفي صحيح مسلم حديث يشير إلىٰ غزوة شهدها عُبادة مع معاوية رضي الله عنهما

(١) انظر: فتوح البلدان: ١/١٣٥.

وقت نيابته الجزئية علىٰ الشام في عهد الفاروق عمر، قال: «غَزَوْنَا غَزَاةً وَعَلَىٰ النَّاسِ مُعَاوِيَةُ، فَغَنِمْنَا غَنَائِمَ كَثِيرَةً، فَكَانَ فِيمَا غَنِمْنَا آنِيَةٌ مِنْ فِضَّةٍ»[1]، وهي الغزوة التي وقع فيها الخلاف بين عُبادة ومعاوية ﷺ في الصّرف، واحتكم فيها عُبادة إلىٰ عمر بن الخطاب بالمدينة، وسيأتي تفصيل ذلك.

وقد ظل عُبادة ﷺ يرتقب مع امرأته أم حرام تحقق نبوءة النبي ﷺ، وبشراه لها، بأنها ستكون من أول أمته ركوبا للبحر في سبيل الله:

فعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ الأَسْوَدِ العَنْسِيَّ، حَدَّثَهُ ـ أَنَّهُ أَتَىٰ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ وَهُوَ نَازِلٌ فِي سَاحَةِ حِمْصَ وَهُوَ فِي بِنَاءٍ لَهُ، وَمَعَهُ أُمُّ حَرَامٍ ـ قَالَ: عُمَيْرٌ، فَحَدَّثَتْنَا أُمُّ حَرَامٍ: أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ البَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا»، قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: «أَنْتِ فِيهِمْ»، .... الحديث[2].

ويدلنا الحديث علىٰ هذا الانتظار، واليقين بوعد الله ورسوله، الذي يتحقق في السنة السابعة والعشرين للهجرة، في وقت نيابة معاوية علىٰ عموم الشام، في عهد ذي النورين عثمان ﷺ.

۞ شهوده فتح مصر، وقصته مع المقوقس:

كان فتح مصر في سنة عشرين هجرية وقيل: واحد وعشرين، بعد

(١) ينظر الحديث بتمامه عند مسلم: ٣/١٢١٠ (١٥٨٧).

(٢) انظر: الحديث بتمامه في صحيح البخاري: (٢٩٢٤).

فراغ المسلمين من فتح الشام، فسار إليها عمرو بن العاص ﷺ من فلسطين، ولفتحها أهمية عسكرية كبرىٰ تتمثل في تأمين ظهر المسلمين بالشام، ولتكون بعد ذلك بوابة لفتح أفريقية، وقد شارك في فتحها كثير من كبار الصحابة.

وفي تاريخ ابن يونس: أن عبادة رضوان الله عليه قد شهد فتح مصر، وكان أميرا علىٰ ربع المدد(١).

ولهذا المدد قصة، فقد رُوي أن عمْرًا ﷺ دخل مصر في ثلاثة آلاف وخمسمائة من الجند، ويبدو أنّه لمّا رأىٰ من اتساع رقعتها، وكثرة ما بها من الحاميات والحصون، استمد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فأرسل إليه الزبير بن العوام ﷺ في اثني عشر ألفا(٢).

وحكىٰ ابن عبدالحكم في فتوح مصر والمغرب: أن عمر بن الخطاب أمدّ عمْرًا بأربعة آلاف رجل، علىٰ كلّ ألف رجل منهم رجل مقام الألف، وعدّ منهم: الزبير بين العوّام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلّد(٣).

وقد كان حصن بابليون من أمنع الحصون بمصر، وكان فتحه بمثابة

(١) راجع: تاريخ ابن يونس: ١/٢٥٧.
(٢) راجع: فتوح البلدان، ٢١١.
(٣) ينظر: فتوح مصر والمغرب، ٨٣.

إنهاء نصف الحرب، إذ به تتم السيطرة علىٰ الوجه البحري، وتتبقىٰ حاميات صغيرة في بعض البلاد أمرُها يسير، بينما يتمثل النصف الآخر في فتح العاصمة: الإسكندرية حينذاك وفيها كثرة من الجند، ومناعة في التحصين.

ويروي ابن عبدالحكم مواقف من شجاعة عبادة ﷺ، وإقدامه عند حصار الحصن، إذ لم يكن يخلو الحصار من مناوشات بين الطرفين، يخرج فيها الروم من الحصن يلتمسون الغرّة، فيقول «حدثنا عيسىٰ بن حمّاد. قال: لما حَصَرَ المسلمون الحصن، كان عبادة بن الصامت في ناحية يصلِّي وفرسه عنده، فرآه قوم من الروم فخرجوا إليه وعليهم حِلْية وبزّة فلما دنوا منه سلّم من صلاته، ووثب علىٰ فرسه، ثم حمل عليهم، فلما رأوه غير مكذّب عنهم ولّوا راجعين، واتّبعهم، فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم، ولا يلتفت إليه حتىٰ دخلوا الحصن، ورمىٰ عبادة من فوق الحصن بالحجارة، فرجع ولم يعرض لشيء مما كانوا طرحوا من متاعهم حتىٰ رجع إلىٰ موضعه الذي كان به، فاستقبل الصلاة، وخرج الروم إلىٰ متاعهم يجمعونه»[1].

وساق ابن عبد الحكم في فتوح مصر والمغرب خبراً عن حفاوة عمرو بعبادة ﷺ وإكرامه له، وتبركه به، وكيف أنه كان يُكلم عبادة وهو راكب، ويأبىٰ عليه النزول، وأنه نزع عمامته فألبسه إياها، وأنه ولاه قتال

(١) ينظر: فتوح مصر والمغرب، ٨٤ ـ ٨٥.

الروم، ففتحت الإسكندرية علىٰ يديه[1].

هذا ما جاء في شأن شهود عبادة رضي الله عنه فتح مصر، اعتماداً علىٰ الرواية المصرية.

ولي عليه بعض الملاحظات:

١ ـ أن عبادة رضي الله عنه لم يرد في طبقات ابن خياط في من أتىٰ مصر من الصحابة، وشهد فتحها[2].

٢ ـ وأما في أمر المدد:

فقد جاء في البداية والنهاية: «لَمَّا اسْتَكْمَلَ عُمَرُ وَالْمُسْلِمُونَ فَتْحَ الشَّامَ بَعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ إِلَىٰ مِصْرَ، وَأَرْدَفَهُ بِالزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، وَفِي صُحْبَتِهِ بُسْرُ بْنُ أَرْطَاةَ، وَخَارِجَةُ بْنُ حُذَافَةَ، وَعُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ الْجُمَحِيُّ»[3]، ونقله عنه ابن تَغْري بَرْدي، وقال: «قال ابن كثير: في فتح مصر وجه آخر علىٰ ما أخبرنا به شيخ الإسلام قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقيني الشافعي مشافهة بإجازته من الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير مجموعاً من كلام ابن إسحاق وغيره»[4]، فهذا قول ابن كثير، ووافقه عليه بعض ثقات المصريين، ولا ذكر عندهم لعبادة بن الصامت رضوان الله عليه في المدد.

(١) راجع: فتوح مصر والمغرب، ١٠٣.
(٢) ينظر: طبقات ابن خياط: ٥٢٩ وما بعدها.
(٣) ينظر: البداية والنهاية: ١٠/٨٩ ـ ٩٠.
(٤) ينظر: النجوم الزاهرة: ١/٢٢.

۞ قصة عُبادة بن الصامت مع المقوقس:

تدور هذه القصة حول إرسال عمرو بن العاص عبادة بن الصامت لمفاوضة المقوقِس علىٰ الصلح، وهي من القصص المشهورة، والتي يأتي فيها أن المقوقس هاب عُبَادَةَ لسواده، وطلب أن يُنحّىٰ عنه، ويُقدّمَ غيرُه، فيجيبه «قد سمعت مقالتك، وإنّ فيمن خلّفت من أصحابي ألف رجل أسود، كلّهم أشدّ سوادا مني وأفظع منظرا ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لي، وأنا قد وليت، وأدبر شبابي، وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوّي لو استقبلوني جميعا....»[1]، وأصل هذه القصة عند ابن عبد الحكم في فتوح مصر ولا وجود لها عند غيره، اللهمّ إلا من نقل عنه: كالسيوطي، والمقريزي وغيرهما، ويُحتج بما نتج عنها من صلح، بأن مصر قد فتحت صلحاً، يقول السيوطي:

«فمن قال مصر فُتحت صلحا تعلق بهذا الصلح، وقال: إن الأمر لم يتم إلا بما جرىٰ بين عبادة بن الصامت وبين المقوقس؛ وعلىٰ ذلك أكثر العلماء من أهل مصر؛ منهم عقبة بن عامر ويزيد بن أبي حبيب والليث ابن سعد وغيرهم»[2].

فيا لها من رحلة جهاد طويلة، ويا لها من عزيمة، تلك التي حفزت عبادة علىٰ هذا الترحال الطويل، استجابة لداعي الإيمان، ووفاء بعهد

(١) انظر القصة كاملة في: فتوح مصر، ٨٨ ـ ٩١.

(٢) ينظر: حسن المحاضرة: ١/١٢٩.

قطعه علىٰ نشر الدين، وطلباً لأجر الشهداء، لقد كانت رحلة طويلة رسمت حدود دولة الإسلام، التي لم تبنها النوايا، دون الفعال، ولم ينهض بها إلا الرجال، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

ثانيا: جهاده بالكلمة

لا يُحسن المرء جهاد غيره بنصح أو تقويم، وهو عار من الفضيلة، واقع في ما ينهىٰ عنه، قال تعالىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1]، لذا كان جهاد النفس أول المراحل لجهاد الغير.

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ، أعلم الناس، وأشدهم لله تقوىٰ، لم تغرّ أحدٌ منهم سابقته، ولا جهاده، ومنافحته، ولا رأينا أحدا ممن بُشر بالجنة، ترك العمل، أو ذهبت عنه الخشية، بل ازدادوا، وكانوا أخوف الناس من النار وعذابها، ومن المَطلع وهوله، فأخذوا أنفسهم بشدة المراقبة، والبعد عن الشبهات، مخافة أن يُبدّلوا، أو يُخالفوا، ومن دلائل هذه المراقبة، وتلك الخشية، ما نجده في سيرة عبادة رضي الله عنه من مواقف، كان غيره سيمر بها غير آبِه، يُروَىٰ:

«أَنَّ عُبَادَةَ بنَ الصَّامِتِ، أَمَرَ غُلَامَهُ أَنْ يَقْطَعَ لَهُ سِوَاكاً مِنْ صَفْصَافٍ

(١) البقرة، ٤٤.

عَلَىٰ نَهْرِ بَرَدَىٰ، فَمَضَىٰ لِيَفْعَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: ارْجِعْ، فَإِنَّهُ إِنْ لَا يَكُنْ بِثَمَنٍ، فَإِنَّهُ يَيْبَسُ، فَيَعُوْدُ حَطَباً بِثَمَنٍ»[1].

فما أكثر شجر الصفصاف، علىٰ ضفاف الأنهار، وهو مما لا تعود ملكيته لأحد، والرجل يريد منه عُودا يستاك به، لكنه يخاف أنْ يُعدّ العود بعد يَبَسِه مالا أُخذ بغير حق، لأنه يصير حطبا يُباع، ويُشترىٰ، فكيف يأخذ مالا بغير حق؟، هكذا كان يرىٰ رضي الله عنه، فيخشىٰ ممّا لا يلتفت إليه الناس، فما بالك بمن يأكل الحرام صراحاً، ولا يأبه، إنه ولابد فرق ما بيننا وبين هؤلاء، وصدق الله القائل ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[2].

وموقف آخر فيه عبرة، لمن يستهين بالخلوة بالأجنبية، فهاهو عبادة وقد طعن في السن، فلم يعد يقوىٰ علىٰ قيام، ولا يأكل إلا ما لُيِّن وسُخِّن، يخشىٰ أن يخلو بامرأة لا تحل له، فيحرك الشيطان غرائزه، ويبعث مواتها[3]، وهو الذي لم يخل بامرأة أجنبية قط، فماذا نقول لمن يبيح الخلوة للشباب.

ثم انظر معي، هذا هو علىٰ فراش موته يطلب من خدمه، وجيرانه أن يقتصوا منه، خشية أن يكون بدر منه في حياته إساءة لأحدهم باليد أو

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء، ٢/١٠.

(٢) فاطر: ٢٨.

(٣) راجع نص الرواية في: سير أعلام النبلاء، ٢/٨.

اللسان، فيؤاخذ به أمام الله، فاسمع لصوته الواهن وهو يقول:

«أَخْرِجُوا فِرَاشِي إِلَىٰ الصِّحْنِ ـ يَعْنِي إِلَىٰ الدَّارِ ـ ثُمَّ قَالَ: اجْمَعُوا لِي مَوَالِيَّ، وَخَدَمِي، وَجِيرَانِي، وَمَنْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيَّ، فَجُمِعُوا لَهُ. فَقَالَ: إِنَّ يَوْمِي هَذَا لَا أَرَاهُ إِلَّا آخِرَ يَوْمٍ يَأْتِي عَلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنَ الْآخِرَةِ، وَإِنَّهُ لَا أَدْرِي، لَعَلَّهُ قَدْ فَرَطَ مِنِّي إِلَيْكُمْ بِيَدِي أَوْ بِلِسَانِي شَيْءٌ، وَهُوَ وَالذي نَفْسُ عُبَادَةَ بِيَدِهِ الْقِصَاصُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأُحَرِّجُ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْكُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا اقْتَصَّ مِنِّي قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ نَفْسِي. فَقَالُوا: بَلْ كُنْتَ وَالِدًا، وَكُنْتَ مُؤَدَّبًا قَالَ: وَمَا قَالَ لِخَادِمٍ قَطُّ سُوءًا. فَقَالَ: أَغَفَرْتُمْ لِي مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: اللهُمَّ اشْهَدْ»[1].

إنّ هذا لما تقشعر منه القلوب، وتذرف العبرات، وإن في ذلك لذكرىٰ لكل مُعتبر.

فهذا رجل أخذ نفسه بالتأديب والتهذيب والمراقبة، فجعل الله الحق علىٰ لسانه، وكان من علامات ذلك وأماراته:

۞ شدته في الحق:

ليست الشدة في الحق بمعنىٰ الحدّة، أو التشدد أو التّصلُّب، فإن ثبات المرء علىٰ ما يؤمن به، هو علامة صدقه مع نفسه، ومع غيره، وقد

(١) ينظر: شعب الإيمان للبيهقي: ١٢/١٧٤ (٩٢٣٤).

يعِنُّ من الأمور ما لا يصلح فيه إلا الشدة.

وعبادة كانت في رقبته بيعة، حين بايع النبي ﷺ يوم العقبة: ألا يخشىٰ في الله لومة لائم، وأن يقول الحق حيث كان، فالقيم لا تتغير بتغير الأزمان، ولا الأمكنة، ومن بداية الأمر، وفي عهد النبي ﷺ، كان عبادة رضي الله عنه، ذلك الرجل الذي لا يعرف ممالأة ولا مداهنة، ولا يرجّح حسبا، ولا قرابة، علىٰ قول الحق، فكان يدافع الباطل بلسانه ويده، ففي الوقت الذي كانت تجمعه بابن سلول (كبير المنافقين) صحبة قديمة وحِلف معقود، وبينما كان البعض من ضعاف النفوس يرون في ابن سلول، رجلا من السادات، يتوددون إليه، ويتغافلون له، لم يتردد عبادة في مكاشفته، ونهيه عن غيّه، حتىٰ لقد أمره أن يأتي رسول الله ليستغفر له، وحين أَعرض، توعده ـ توعُد الواثق ـ بأن ينزل الله في شأنه ما يستحق، فلمّا نزلت سورة المنافقون وكان في عبادة فقه ونظر، أعرض عنه فلم يعد يسلم عليه، وأخذ يؤنبه ويُعيّره، بنزول القرآن في تكذيبه[1]، في قوله تعالىٰ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[2].

وكان له موقف بالمدينة مع رجل تأخرّ إسلامه، «وَكَانَ لَهُ صنم فِي بَيته يُكرمهُ وَكَانَ عبَادَة بن الصَّامِت صديقا لَهُ فرصده يَوْمًا فَلَمَّا خرج من

(١) راجع: المغازي، ٢/٤٢٠.

(٢) (المنافقون، ١).

بَيته دخل عبَادَة فَكَسرهُ بالقدوم فَلَمَّا جَاءَ وَرَآهُ خرج مغضبا يُرِيد أَن يشاتم عبَادَة ثمَّ فكر فِي نَفسه فَقَالَ لَو كَانَ عِنْد هَذَا الصَّنَم طائل لامتنع فَأسلم»[1].

هذا عن شدته مع المنافقين، والكافرين في عهد النبي ﷺ، فلمّا كان عهد الراشدين بقيت النصيحة، والنهي عن المخالفات، فكان من ذلك:

۞ إنكاره على معاوية رضي الله عنه في الصّرف

دار خلاف في الرأي بينه وبين معاوية رضي الله عنه، توسع فيه البعض رغم بساطة الخلاف، حتىٰ إن البعض ليظن أنه كان خلافا شخصيا، أو عداوة، أو شقاقاً، وغالب ما ورد في أمر هذا الخلاف ضعيف لا يحتج به، وسيأتي بيانه في موضعه من هذا الكتاب.

إذ لم يكن الخلاف بين عبادة ومعاوية رضي الله عنهما سوىٰ مراجعة في أمر كان عُبادة يرىٰ فيه مخالفة للسنة.

ففي الاستيعاب[2]: أن سبب الخلاف كان إنكار عبادة رضي الله عنه علىٰ معاوية في الصّرف[3]، وتفصيل ذلك في حديث مسلم قال:

---

(١) انظر: تلقيح فهوم أهل الأثر: ص١١١.

(٢) راجع: الاستيعاب، ٢/٨٠٨.

(٣) الصّرف لغة: الزيادة، وشرعاً: هو بيع النقد بالنقد جنساً بجنس أو بغير جنس: أي بيع الذهب بالذهب، أو الفضة بالفضة أو الذهب بالفضة، مصوغاً أو نقداً. ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته، أد وهبة بن مصطفىٰ الزحيلي: ٥/٣٦٥٩.

عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: كُنْتُ بِالشَّامِ فِي حَلْقَةٍ فِيهَا مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ، فَجَاءَ أَبُو الْأَشْعَثِ، قَالَ: قَالُوا: أَبُو الْأَشْعَثِ، أَبُو الْأَشْعَثِ، فَجَلَسَ، فَقُلْتُ لَهُ: حَدِّثْ أَخَانَا حَدِيثَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: نَعَمْ، غَزَوْنَا غَزَاةً وَعَلَىٰ النَّاسِ مُعَاوِيَةُ، فَغَنِمْنَا غَنَائِمَ كَثِيرَةً، فَكَانَ فِيمَا غَنِمْنَا آنِيَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، فَأَمَرَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا أَنْ يَبِيعَهَا فِي أَعْطِيَاتِ النَّاسِ، فَتَسَارَعَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ، فَبَلَغَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، فَقَامَ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «يَنْهَىٰ عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرِّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرِ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرِ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحِ بِالْمِلْحِ، إِلَّا سَوَاءً بِسَوَاءٍ، عَيْنًا بِعَيْنٍ، فَمَنْ زَادَ، أَوِ ازْدَادَ، فَقَدْ أَرْبَىٰ»، فَرَدَّ النَّاسُ مَا أَخَذُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ فَقَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: أَلَا مَا بَالُ رِجَالٍ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَادِيثَ قَدْ كُنَّا نَشْهَدُهُ وَنَصْحَبُهُ فَلَمْ نَسْمَعْهَا مِنْهُ، فَقَامَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ فَأَعَادَ الْقِصَّةَ، ثُمَّ قَالَ: «لَنُحَدِّثَنَّ بِمَا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنْ كَرِهَ مُعَاوِيَةُ ـ أَوْ قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ ـ مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَصْحَبَهُ فِي جُنْدِهِ لَيْلَةً سَوْدَاءَ»(١).

فالخلاف جاء في سياق غزوة، غنم فيها المسلمون أواني مَصُنوعة من فضة، لطيفة الصنع، فأمر معاوية رضي الله عنه أن تُباع، فتسابق الناس إلىٰ شرائها بما يزيد عن وزنها من فضة، وكان معاوية رضي الله عنه «لا يرىٰ الربا في البيع الْعَيْنِ بِالتِّبْرِ وَلَا بِالْمَصُوغِ وَكَانَ يُخَيِّرُ فِي ذَلِكَ التَّفَاضُلِ وَيَذْهَبُ إِلَىٰ

(١) ينظر: صحيح مسلم: كتاب المساقاة ـ باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقدا، ١٢١٠/٣، حديث رقم: ١٥٨٧.

أَنَّ الرِّبَا لَا يَكُونُ فِي التَّفَاضُلِ إِلَّا فِي النِّسْيَةِ بِالتِّبْرِ وَفِي الْمَصُوغِ بِالْمَصُوغِ وَفِي الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ»[1]، في حين كان عُبادة يرىٰ مستندا إلىٰ الحديث الذي سمعه من النبي ﷺ أنه لا يجوز التفاضل في ذلك وأنه من الربا.

وقد احتدّ عبادة رضي الله عنه غضبةً لله، وكره أن يسكن أرضا يُرد فيها حديث النبي ﷺ بالرأي، رغم أن ظاهر كلام معاوية رضي الله عنه أنه لم يكن بلغه الحديث.

جاء عند ابن ماجه بسند صحيح:

عن بُرْدُ بْنُ سِنَانٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ الْأَنْصَارِيَّ النَّقِيبَ، صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: غَزَا مَعَ مُعَاوِيَةَ أَرْضَ الرُّومِ، فَنَظَرَ إِلَىٰ النَّاسِ وَهُمْ يَتَبَايَعُونَ كِسَرَ الذَّهَبِ بِالدَّنَانِيرِ، وَكِسَرَ الْفِضَّةِ بِالدَّرَاهِمِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَأْكُلُونَ الرِّبَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَبْتَاعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ، إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ، لَا زِيَادَةَ بَيْنَهُمَا وَلَا نَظِرَةً» فَقَالَ: لَهُ مُعَاوِيَةُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، لَا أَرَىٰ الرِّبَا فِي هَذَا، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ نَظِرَةٍ، فَقَالَ عُبَادَةُ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتُحَدِّثُنِي عَنْ رَأْيِكَ لَئِنْ أَخْرَجَنِي اللهُ لَا أُسَاكِنُكَ بِأَرْضٍ لَكَ عَلَيَّ فِيهَا إِمْرَةٌ، فَلَمَّا قَفَلَ لَحِقَ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَقْدَمَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، وَمَا قَالَ مِنْ مُسَاكَنَتِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ إِلَىٰ أَرْضِكَ، فَقَبَحَ اللهُ أَرْضًا لَسْتَ فِيهَا وَأَمْثَالُكَ، وَكَتَبَ إِلَىٰ مُعَاوِيَةَ: لَا إِمْرَةَ لَكَ عَلَيْهِ،

(١) ينظر: المجموع شرح المهذب: ٣١/١٠.

وَاحْمِلِ النَّاسَ عَلَىٰ مَا قَالَ، فَإِنَّهُ هُوَ الْأَمْرُ[1].

وعند الذهبي: عن بُرْدُ بنُ سِنَانٍ: عَنْ إِسْحَاقَ بنِ قَبِيْصَةَ بنِ ذُؤَيْبٍ، عَنْ أَبِيْهِ:

أَنَّ عُبَادَةَ أَنْكَرَ عَلَىٰ مُعَاوِيَةَ شَيْئاً، فَقَالَ: لَا أُسَاكِنُكَ بِأَرْضٍ.

فَرَحَلَ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ.

قَالَ لهُ عُمَرُ: مَا أَقْدَمَكَ؟

فَأَخْبَرَهُ بِفِعْلِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ: ارْحَلْ إِلَىٰ مَكَانِكَ، فَقَبَّحَ اللهُ أَرْضاً لَسْتَ فِيْهَا وَأَمْثَالُكَ، فَلَا إِمْرَةَ لَهُ عَلَيْكَ[2].

ويؤيد ذلك تاريخيا قول ابن حبان في الثقات: «لَمَّا دخلت السّنة الثَّانِيَة وَالْعِشْرين فتح الْمُغيرَة بْن شُعْبَة أذربيجان صلحا علىٰ ثَمَانمِائَة ألف دِرْهَم وَدخل مُعَاوِيَة أَرض الرّوم الصائفة فِي عشرَة آلَاف ثمَّ اعْتَمر عمر وسَاق مَعَه عشر بدنات ونحرها فِي منحر رَسُول اللهِ ﷺ وَمَعَهُ من الصَّحَابَة عبَادَة بْن الصَّامِت وَأَبُو ذَر وَأَبُو أَيُّوب وَشَدَّاد بْن أَوْس»[3]، فيجوز أن يكون قدوم عُبادة رضي الله عنه علىٰ عمر بالمدينة في هذه السنة، وأنه اعتمر فيها معه، فعاد بعد العمرة إلىٰ الشام، وقد تلاشىٰ الخلاف.

(١) ينظر: سنن ابن ماجه (١٨).

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢/٧.

(٣) ينظر: الثقات لابن حبان: ٢/٢٣٥.

فقد ذكر ابن كثير، وابن الأثير: في أحداث سنة ٢٣هـ «غَزَا مُعَاوِيَةُ الصَّائِفَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ عَمُّورِيَّةَ وَمَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَأَبُو أَيُّوبَ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَشَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ»[1]، وهو ما يفيد عودة عبادة إلىٰ الشام مع أصحابه الذين شهدوا العمرة مع عُمر رضي الله عنهم أجمعين، ولكأني بعُبادة كان يودع عُمر، فإنه استشهد بعد ذلك بسنة واحدة.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: البداية والنهاية: ١٠/١٩٩، الكامل في التاريخ: ٢/٤٤٩.

المبحث الرابع
عُبادة العالم الفقيه

إن حصر جهد الصحابة العلميّ في حيِّز النقل، إجحافٌ بيّن، وقصر ناظر بالغ، فهم ـ وإن كانوا ـ نَقَلَة الأحاديث، وطريق السنن، فإن دورهم لم يقتصر علىٰ ذلك، وإنما جاوزوه إلىٰ الفتوىٰ والقضاء، والقول بالرأي

ومن أمثلة حصول هذا الاجتهاد من جانبهم:

«عهدُ أبي بكر إلىٰ عمر، قياسًا للعهد علىٰ العقد بالبيعة، وقياس الزكاة علىٰ الصلاة، وإلحاق السكر بالقذف لأنه مظنته»(١).

كما كانت لهم دراية بطرق استنباط الأحكام ومداركها، فـ«كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ حُكْمٌ نَظَرَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ فَإِنْ وَجَدَ فِيهِ مَا يَقْضِي بِهِ قَضَىٰ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ فِي كِتَابِ اللهِ نَظَرَ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ فَإِنْ وَجَدَ فِيهَا مَا يَقْضِي بِهِ قَضَىٰ بِهِ، فَإِنْ أَعْيَاهُ ذَلِكَ سَأَلَ النَّاسَ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ سُنَّةً سَنَّهَا النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ جَمَعَ رُؤَسَاءَ النَّاسِ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَإِذَا اجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ قَضَىٰ بِهِ، وَكَانَ عُمَرُ يَفْعَلُ ذَلِكَ»(٢).

(١) ينظر: روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي: ١٦٦/٢.

(٢) ينظر: السنن الكبرىٰ للبيهقي (١٩٦/١٠)، إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم: ٤٩/١.

أما عن اجتهادهم في مسائل التفسير، فيقول ابن عطية «إذا لم نجد في القرآن ولا في السنة والأحاديث عن النبي ﷺ رجعنا في ذلك إلىٰ ما صح وثبت عن الصحابة ذلك: أنهم أدرىٰ منا بالقرآن، فقد بين لهم الرسول معانيه، وأزال مشكِلَه، وشرَح مُجمله»(١).

ومنهج التفسير بالمأثور من السنة وكلام الصحابة والتابعين معروف، وهو من أهم مدارس التفسير.

وعبادة بن الصامت معدود في كبار فقهاء الصحابة رضي الله عنهم، قال القرطبي «أَبُو الدَّرْدَاءِ وَعُبَادَةُ جَلِيلَانِ مِنْ فُقَهَاءِ الصَّحَابَةِ وَكِبَارِهِمْ»(٢).

وفي الطبقات: «لَمْ يَبْقَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ بِالشَّامِ أَحَدٌ كَانَ أَوْثَقَ وَلا أَفْقَهَ وَلا أَرضى مِنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَشَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ»(٣).

ويجتمع علم عُبادة رضي الله عنه من ثلاثة طرق: علم القراءات، والحديث، والفقه.

كان رضي الله عنه ممّن جمع القرآن في زمن النبي الله ﷺ، وفي مسند أحمد ما يشير إلىٰ أنه قرأ ـ علىٰ الأغلب ـ علىٰ أُبي بن كعب رضي الله عنه(٤).

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز): ١١/١.

(٢) انظر: تفسير القرطبي، ٣٥٠/٣.

(٣) ينظر: الطبقات الكبرىٰ، ٢٨٥/٢.

(٤) أُبَيُّ بن كَعْب بن قَيْس بن عُبَيْد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار أبو المنذر الأنصاري ـ رضي الله عنه. أقرأ الأمة، عرض القرآن علىٰ النبي ـ ﷺ، أخذ عنه القراءة=

فعَنْ عُبَادَةَ، أَنَّ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»(١).

وعنه أيضاً:

أَنَّ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، قَالَ: أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ آيَةً، وَأَقْرَأَهَا آخَرَ غَيْرَ قِرَاءَةِ أُبَيٍّ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَهَا؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: وَاللهِ لَقَدْ أَقْرَأَنِيهَا كَذَا وَكَذَا، قَالَ أُبَيٌّ: فَمَا تَخَلَّجَ فِي نَفْسِي مِنَ الْإِسْلَامِ مَا تَخَلَّجَ يَوْمَئِذٍ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَمْ تُقْرِئْنِي آيَةَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: «بَلَىٰ» قَالَ: فَإِنَّ هَذَا يَدَّعِي أَنَّكَ أَقْرَأْتَهُ كَذَا وَكَذَا، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، فَذَهَبَ ذَاكَ، فَمَا وَجَدْتُ مِنْهُ شَيْئًا بَعْدُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَىٰ حَرْفٍ، فَقَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ، قَالَ: اقْرَأْهُ عَلَىٰ حَرْفَيْنِ، قَالَ: اسْتَزِدْهُ، حَتَّىٰ بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ، قَالَ: كُلٌّ شَافٍ كَافٍ»(٢).

ثم كان عبادة بعد ذلك يعلم الناس القرآن، روىٰ أحمد بسند حسن «عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُشْغَلُ، فَإِذَا قَدِمَ رَجُلٌ

= ابن عباس وأبو هريرة وعبد الله بن السائب وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وأبو عبد الرحمن السلمي، وحدث عنه سويد بن غفلة، وعبد الرحمن بن أبزى وأبو المهلب، وآخرون. ينظر: معرفة القراء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار: ص: ١٣.

(١) انظر: مسند أحمد (٢١٠٩١)، وقال الأرناؤوط: صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٢) انظر: مسند أحمد (٢١٠٩٢).

مُهَاجِرٌ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ دَفَعَهُ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنَّا يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ...»[١].

وهذا يعني أن النبي ﷺ اطمأن لقراءته، وأن أمانة كبيرة قد أوكلت إليه، وأنه اضطلع بدور لا يُنكر في تعليم القرآن، وتثبيت أركان الدعوة.

ورغم أن عُبادة رضي الله عنه لا يرجع إليه سند قراءة من القراءات العشرة، إلا أنه أقرأ نفرا من كبار التابعين مثل: حِطَّانُ بن عبد الله الرّقاشيِّ، وقرأ علىٰ حطان الحسن البصري[٢].

وقد نقل د. الزحيلي عن الجَهْشَيَارِي: أن عُبادة رضي الله عنه كان من كتبة الوحي[٣]، فلعله نظر إلىٰ الحديث الذي يرويه أحمد وغيره «عَنِ الْأَسْوَدِ ابْنِ ثَعْلَبَةَ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْكِتَابَةَ وَالْقُرْآنَ....»[٤]، فسوّغ ذلك له ما نقله عن الجهشياري.

أما عن طبقة عبادة رضي الله عنه في الرواية، فقد عدّه ابن الجوزي في تلقيح فهوم أهل الأثر: في أصحاب المائة، فقال: عبَادَة بن الصَّامِت مائَة حَدِيث وَوَاحِد وَثَمَانُونَ[٥]، وهو بذلك دون أصحاب المائتين، وفوق أصحاب المائة.

---

(١) انظر: مسند أحمد (٢٢٧٦٦).

(٢) معرفة القراء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار: ص: ٢٥.

(٣) راجع عبادة بن الصامت صحابي كبير وفاتح مجاهد: ص: ١٠٥.

(٤) انظر: أحمد (٢٢٦٨٨).

(٥) انظر: تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، ابن الجوزي، ص: ٢٦٤.

قال الذهبي: «له في مسند بَقِيّ بن مَخْلَد[1] مائَةٌ وَأَحَدٌ وَثَمَانِون حَدِيْثاً، وفِي (البُخَارِيِّ) وَ(مُسْلِمٍ): سِتَّةٌ، وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ: بِحَدِيْثَيْنِ، وَمُسْلِمٌ: بِحَدِيْثَيْنِ»[2].

وذكره ابن حزم في الإحكام في المتوسطين في الفُتْيا من الصحابة[3].

وقد كان لرواياته وآرائه أثر باقٍ في مسائل الفقه والتفسير، وإن لم يكن من المكثرين في الرواية والفتوى.

١ ـ بعضٌ من أثر رواياته وآرائه في الفقه:

من أحاديثه المشهورة التي يستدل بها الفقهاء:

❊ في العبادات:

ما جاء في الصحيحين: عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ»[4].

---

(١) بَقِيُّ بنُ مَخْلَدِ بنِ يَزِيْدَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَنْدَلُسِيُّ، الإِمَامُ، القُدْوَةُ، شَيْخُ الإِسْلَامِ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَنْدَلُسِيُّ، القُرْطُبِيُّ، الحَافِظُ، صَاحِبُ (التَّفْسِيْرِ) وَ(المُسْنَدِ) اللَّذَيْنِ لَا نَظِيْرَ لَهُمَا. وُلِدَ: فِي حُدُوْدِ سَنَةِ مائَتَيْنِ، أَوْ قَبْلَهَا بِقَلِيْلٍ. وَكَانَ إِمَاماً مُجْتَهِداً صَالِحاً، رَبَّانِيّاً صَادِقاً مُخْلِصاً، رَأْساً فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ، عَدِيْمَ المَثَلِ، مُنْقَطِعَ القَرِيْنِ، يُفْتِي بِالأَثَرِ، وَلَا يُقَلِّدُ أَحَداً. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣/٢٨٥ ـ ٢٨٦).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، ٢/١١.

(٣) انظر: الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم، ٥/٩٢ ـ ٩٣.

(٤) ينظر: البخاري: ١/١٥١ ـ ١٥٢ (٧٥٦)، مسلم ١/٢٩٥ (٣٩٤).

وأخذ بظاهر عموم الحديث: الإمام البخاري، والأوزاعي والشافعي فأوجبوا قراءة المأموم للفاتحة خلف الإمام في الصلوات السرية والجهرية[1]، والجمهور علىٰ أنه ليس بواجب.

وله حديث مشهور آخر في حكم الوتر:

عن ابن مُحيريزٍ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي كِنَانَةَ يُدْعَىٰ الْمُخْدَجِيَّ سَمِعَ رَجُلًا بِالشَّامِ يُدْعَىٰ أَبَا مُحَمَّدٍ يَقُولُ: إِنَّ الْوِتْرَ وَاجِبٌ قَالَ الْمُخْدَجِيُّ: فَرُحْتُ إِلَىٰ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَاعْتَرَضْتُ لَهُ وَهُوَ رَائِحٌ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ، فَقَالَ عُبَادَةُ: كَذبَ أَبُو مُحَمَّدٍ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَىٰ الْعِبَادِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنَّ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»[2].

ويُستدل بهذا الحديث علىٰ أن الوتر ليس بحتم (فرض)، وهو رأي الجمهور، فالوتر عندهم: سنة مؤكدة، سوىٰ أبي حنيفة فإن الوتر عنده واجب كالجمعة والعيدين[3].

وذهب عُبادة رضي الله عنه إلىٰ: أنه لا يُقرأ في الجنازة بشيء من القرآن[4]،

(١) راجع: تفسير ابن كثير: ٤٨٦/٣، تفسير: البغوي: ٢٦٣/٢.
(٢) ينظر: سنن البيهقي (٢٢٢٦).
(٣) راجع: الفقه الإسلامي وأدلته، ١٠٠٩/٢ ـ ١٠١١، موسوعة القواعد الفقهية: ٢٦٧/٦.
(٤) راجع: صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة: ٦٥٧/١.

روىٰ البيهقي بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَأَلَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَىٰ الْمَيِّتِ، فَقَالَ: «أَنَا وَاللهِ أُخْبِرُكَ تَبْدَأُ فَتُكَبِّرُ، ثُمَّ تُصَلِّي عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَقُولُ: اللهُمَّ إِنَّ عَبْدَكَ فُلَانًا كَانَ لَا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئًا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ، إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ اللهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ»(١).

وفي ذكر الخلاف حول الخشوع في الصلاة وهل هو من فرائضها، أم من كمالها، رجح القرطبي قول عبادة رضي الله عنه فقال «الصَّحِيحُ الْأَوَّلُ، وَمَحَلُّهُ الْقَلْبُ، وَهُوَ أَوَّلُ عمل يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ، قَالَهُ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ»(٢).

*** ومن أحاديثه التي يُستدل بها في باب المعاملات:**

ما جاء عند مسلم وغيره: عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، يَدًا بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ، فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ، إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ»(٣).

وعند النسائي بلفظ: «نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرِّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرِ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرِ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحِ

(١) انظر: السنن الكبرىٰ للبيهقي: ٤/٦٥ (٦٩٦٣).

(٢) ينظر: القرطبي: ١٢/١٠٤

(٣) ينظر: مسلم ٣/١٢١١ (١٥٨٧)، أحمد ٣٧/٣٩٧ (٢٢٧٢٧).

بِالْمِلْحِ، إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، فَمَنْ زَادَ أَوِ ازْدَادَ فَقَدْ أَرْبَىٰ»[1].

والحديثان نص في إثبات ربا الفضل، والنسيئة[2].

❊ وفي الحدود:

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ، وَالرَّجْمُ»[3].

ويستدل بهذا الحديث علىٰ الجمع بين الجلد والنفي سنة للزاني غير المحصن رجلا كان أم امرأة[4].

وأخذ به أحمد، وإسحق بن راهويه، وأهل الظاهر، وغيرهم، في

(١) ينظر: سنن النسائي: ٦/٤٤ (٦١١٢).

(٢) ربا الفضل، هو أن تكون الزيادة المذكورة مجردة عن التأخير فلم يقابلها شيء، وذلك كما إذا اشترىٰ إردباً من القمح بإردب وكيلة من جنسه مقايضة بأن استلم كل من البائع والمشتري ماله. وكما إذا اشترىٰ ذهباً مصنوعاً زنته عشرة مثاقيل بذهب مثله قدره مثقالاً، وربا النسيئة: هو أن تكون الزيادة المذكورة في مقابل «تأخير الدفع» ومثال ذلك: ما إذا اشترىٰ إردباً من القمح في زمن الشتاء بإردب ونصف يدفعها في زمن الصيف. فإن نصف الإردب الذي زاد في الثمن لم يقابله شيء من المبيع، وإنما هو في مقابل الأجل فقط، ولذا سمي ربا النسيئة أي التأخير، والجمهور علىٰ تحريم ربا النسيئة، وربا الفضل سوىٰ ابن عباس رضي الله عنهما، قيل: أجاز ربا الفضل، وقيل تَرَاجَع. الفقه علىٰ المذاهب الأربعة: ٢/٢٢١ ـ ٢٢٣.

(٣) ينظر: مسلم: ٣/١٣١٦ (١٦٩٠).

(٤) راجع: صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة: ٤/٣٨.

الجمع بين الجلد والرجم في حد المُحصن[1].

وعند الشافعية والأحناف: أنه منسوخ بِمَا رُوِيَ أن النَّبِي ﷺ رجم ماعزًا وَلم يجلده[2]، والجمهور علىٰ رجم المحصن دون الجلد.

❊ وفي العقيدة:

له حديث جليل في فضل شهادة «لا إله إلا الله»، نصُّه في البخاري «من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل»[3].

وبلفظ مسلم: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ، وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»[4].

❊ وفي كون الحدود كفارات للذنوب:

يُستدل بحديثه: «بايعوني علىٰ أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا،

(١) راجع: التوضيح لشرح الجامع الصحيح: ١٨٤/٣١.
(٢) انظر: الواضح في أصول الفقه لابن عقيل البغدادي: ١٥٩/٢.
(٣) ينظر: البخاري: (٣٤٣٥).
(٤) ينظر: مسلم: (٢٨).

ولا تزنوا، وقرأ هذه الآية كلها ـ، فمن وفَّى منكم فأجره علىٰ الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به فهو كفارته، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله عليه فهو إلىٰ الله، إن شاء غفر له، وإن شاء عاقبه»[1].

وكون الحدود كفارات للذنوب هو ما عليه مذهب الجمهور سوىٰ الحنفيّة[2].

❋ ومن آراء عبادة رضي الله عنه المذكورة في مسائل الفقه:

ما أفتىٰ به من أنه:

«لَا بَأْسَ بِبَيْعِ الْحِنْطَةِ بِالشَّعِيرِ، وَالشَّعِيرُ أَكْثَرُ مِنْهُ يَدًا بِيَدٍ، وَلَا يَصْلُحُ نَسِيئَةً»[3].

وجاء في مصنف بن أبي شيبة:

عَنْ مَكْحُولٍ، قَالَ: قُلْتُ لِلزُّهْرِيِّ: أَمَا عَلِمْتَ عُمَرَ حِينَ انْقَضَىٰ أَجَلُهُ، وَابْنَ مَسْعُودٍ بِالْعِرَاقِ حِينَ انْقَضَىٰ أَجَلُهُ، وَعُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، «كَانُوا يَسْتَبْرِئُونَ الْأَمَةَ بِحَيْضَةٍ» حَتَّىٰ كَانَ مُعَاوِيَةُ فَكَانَ يَقُولُ: «حَيْضَتَانِ» فَقَالَ الزُّهْرِيُّ: «وَأَنَا أَزِيدُكَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ»[4].

---

(١) ينظر: البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) راجع: صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة: ٤/٢٠.

(٣) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة: ٤/٣٢٠ (٢٠٦٠١).

(٤) ينظر الحديث بسنده في مصنف ابن أبي شيبة: ٣/٥١٣ (١٦٦٢٥).

وأهل العلم على استبراء المسبية بحيضة واحدة، سواء أكانت ذات زوج أم لا زوج لها[1] وكذلك استبراء الأمة في الزنا، والوطء يكفي فيه حيضة واحدة[2].

كما دار خلاف فقهي بين عبادة ﷺ وبين عمر بن الخطاب في حكم شرب الطِّلاء[3]:

عنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، حِينَ قَدِمَ الشَّامَ شَكَا إِلَيْهِ أَهْلُ الشَّامِ وَبَاءَ الْأَرْضِ وَثِقَلَهَا. وَقَالُوا: لَا يُصْلِحُنَا إِلَّا هَذَا الشَّرَابُ. فَقَالَ عُمَرُ: اشْرَبُوا هَذَا الْعَسَلَ. قَالُوا: لَا يُصْلِحُنَا الْعَسَلُ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ: هَلْ لَكَ أَنْ نَجْعَلَ لَكَ مِنْ هَذَا الشَّرَابِ شَيْئًا لَا يُسْكِرُ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَطَبَخُوهُ حَتَّى ذَهَبَ مِنْهُ الثُّلُثَانِ وَبَقِيَ الثُّلُثُ. فَأَتَوْا بِهِ عُمَرَ فَأَدْخَلَ فِيهِ عُمَرُ إِصْبَعَهُ ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ. فَتَبِعَهَا يَتَمَطَّطُ فَقَالَ: هَذَا الطِّلَاءُ هَذَا مِثْلُ طِلَاءِ الْإِبِلِ فَأَمَرَهُمْ عُمَرُ أَنْ يَشْرَبُوهُ. فَقَالَ لَهُ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ أَحْلَلْتَهَا وَاللهِ (أي: الخمر)، فَقَالَ عُمَرُ: كَلَّا وَاللهِ «اللهُمَّ إِنِّي لَا أُحِلُّ لَهُمْ شَيْئًا حَرَّمْتَهُ عَلَيْهِمْ. وَلَا أُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ شَيْئًا أَحْلَلْتَهُ لَهُمْ»[4].

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي: ١٠/٥.

(٢) ينظر: الفقه على المذاهب الأربعة: ٤٥٣/٤.

(٣) الطِّلاء: ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه. القرطبي: تعليق المحقق في حاشية ص: ٦٨/١٦.

(٤) ينظر: موطأ مالك: ٨٤٧/٢ (١٤).

ويُفهم من ذلك أن عُبادة ﵁ لم يكن يرىٰ جواز شرب الطلاء، ربما ليس لحرمته، وإنما لما قد يؤدي الإكثار منه من سُكْر، أو أن يُفتح بذلك باب لشرب غيره من المسكرات.

روىٰ النسائي عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الطُّفَيْلِ الْجَزَرِيِّ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «أَلَا تَشْرَبُوا مِنَ الطِّلَاءِ حَتَّىٰ يَذْهَبَ ثُلُثَاهُ، وَيَبْقَىٰ ثُلُثُهُ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»[1]، وهذا يوافق رأي عمر بن الخطاب ﵁ في الحديث السابق.

وغالب أهل العلم علىٰ أن العصير يُشرب ما لم يتغير، وقبل أن يتخمر، فإذا طُبخ يمتنع شرابه إذا كان مسكرا قليلا أو كثيرا، وقال الأحناف: بأنه إذا طبخ فذهب ثلثاه فهو حلال وإن اشتد إذا كان الغرض التّقَوِّي. فإن انصرف الغرض للتلهِّي فهو حرام، والعبرة عند الجمهور بصلاحية الإسْكار[2].

٢ ـ بعضٌ من آرائه في التفسير

كان عبادة ﵁ من حفظة القرآن، ومعلميه، وكان يتدبره، ويسأل النبي ﷺ فيه:

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ: سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ،

(١) ينظر: النسائي: ٥/٧٩ (٥٠٩٠).

(٢) راجع: الفقه علىٰ المذاهب الأربعة: ٥/٢٥ ـ ٢٦.

أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللهِ ﷻ: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[1]، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، أَوْ أَحَدٌ قَبْلَكَ، قَالَ: تِلْكَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَىٰ لَهُ»[2].

كما كان له علم بالناسخ والمنسوخ.

من ذلك ما ذُكر عنه من أن الإمساك في البيوت، والأذىٰ في سورة النساء، قد نسخ بآية النور وبالرجم في الثيب[3].

وله ﷺ علم واسع حفلت به كتب التفسير، بأسباب نزول الآيات، وفيمن نزلت.

ففي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾[4].

ينقل القرطبي ﷺ رأيه فيقول:

«قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ: نَزَلَتْ فِي قُرَيْشٍ، آتَاهُمُ اللهُ آيَاتِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا

(١) يونس: ٦٤.
(٢) ينظر: أحمد: ٣٦٣/٣٧ (٢٢٦٨٨). وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره.
(٣) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٢١/٢.
(٤) الأعراف: ١٧٦، ١٧٧.

اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ فَانْسَلَخُوا مِنْهَا وَلَمْ يَقْبَلُوهَا.....»[1].

وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

يورد القرطبي حديث عبادة رضي الله عنه[3]:

عَنْ مَكْحُولٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ عَنِ الْأَنْفَالِ. فَقَالَ: «فِينَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ بَدْرٍ نَزَلَتْ حِينَ اخْتَلَفْنَا فِي النَّفَلِ، وَسَاءَتْ فِيهِ أَخْلَاقُنَا، فَانْتَزَعَهُ اللهُ مِنْ أَيْدِينَا، وَجَعَلَهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَسَمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ بَوَاءٍ»[4].

وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾[5]، يورد ابن كثير رأي عبادة رضي الله عنه:

«قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ لِلرَّجُلِ: زَوَّجْتُكَ ابْنَتِي ثُمَّ يَقُولُ: كُنْتُ لَاعِبًا، وَيَقُولُ: قَدْ أَعْتَقْتُ، وَيَقُولُ: كُنْتُ لَاعِبًا، فَأَنْزَلَ اللهُ

(١) ينظر: القرطبي: ٣٢١/٧.
(٢) الأنفال، ٤١.
(٣) ينظر: القرطبي: ٣٦١/٧.
(٤) ينظر: أحمد ٤١١/٣٧ (٢٢٧٤٨).
(٥) من الآية: ٢٣١، من سورة: البقرة.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾»[1].

ويستدل ابن أبي حاتم في تفسير قَوْلُهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[2]، بقول عُبادة رضي الله عنه: «فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ (أي: المنافقين): الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَعْنِي: عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ بن سلول»[3].

هذا، والنماذج كثيرة تحفلُ بها كتب التفسير، وقد اكتفيت بما ذكرت تجنبا للتكرار، وتقصُّدا لما يكون عُبادة رضي الله عنه قد قال فيه برأيه، مع إظهار الجانب الفقهي فيه.

فهذا رجل قد جمع العلم من أطرافه: حفظاً، وروايةً، وفقهاً، ورأيا فكان بحق إماما يؤخذ عنه، ويقتدى به، ويُنقل عنه، ويستدل برأيه.



(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ١/٤٧٦.

(٢) من الآية: ٥٢، من سورة المائدة.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٤/١١٥٧.

المبحث الخامس
نظرة في عبقريته[1]

إذا كانت العبقرية خصيصة مميِّزة، يتفرّد بها الشخص، فإن ذلك يوجب البحث، والتنقيب، والنظر المُتعمِّق، للوقوف علىٰ هذه الخصيصة، ومن البَدَهيّ ألا تكون هذه الصفة التي نصفها بالعبقرية، مُشتركا عاما، وإلا ففيم يقع التميُّز، ويشار إليه، وعندما ننظر إلىٰ شخصية عُبادة بن الصامت رضي الله عنه، نجد أنه لم يكن فقيها مُشتهرا، كابن عباس مثلا، ولا قائدا حربيا كخالد بن الوليد، أو عمرو بن العاص، أو أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين، كما أن صَدْعَه بالحق في وجه الحُكّام، يسبقه فيه أبو ذر الغفاريّ، ولم يرد أن النبي ﷺ سمّاه باسم مميز، كما سمّىٰ أبا عبيدة بن الجراح بأمين الأمة، والزبير بالحواريّ، وغيرهما، وقد نظرت إلىٰ شخصية عبادة رضي الله عنه أولَ ما اخترته موضوعا لهذا الكتاب، فلمست في طَبْعِه مَيْلا إلىٰ الفصل والقطع في الأمور، يبلغ درجة: الحِدّة أحيانا، وهي حِدّة محمودة أهّلته مع أمور أخرىٰ، لقول الحق والثبات

(١) عَبْقَر قَرْيَةٌ تَسْكُنُهَا الْجِنُّ فِيمَا زَعَمُوا، فكلَّما رأَوا شَيئاً فَائِقًا غَرِيبًا مِمَّا يَصْعُبُ عملُه ويَدِقُّ أَو شَيْئًا عَظِيمًا فِي نَفْسِهِ نَسَبُوهُ إِليها فَقَالُوا: عَبْقَرِيٌّ، اتُّسِعَ فِيهِ حَتَّىٰ سُمِّيَ بِهِ السَّيِّدُ وَالْكَبِيرُ، وكلّ ما يتعجّب من كماله وقوّته وحذقه ينظر: اللسان: ٤/٥٣٥. عبقر، معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢/١٤٥٢.

عليه في وجه الأمراء، وذوي النفوذ، هذا من الناحية النفسية.

أما من ناحية العُنصر أو الوراثة: فإنه ينحدر كما سلف من سلالة القواقلة: وهم قوم كانت لهم سيادة مرعية في الخزرج، إضافة إلىٰ مؤهلات جسدية ذات أهمية: فقد كان طُوالا، جسيما.

ولكن هل تؤهل هذه المقومات لصفة جامعة توصف بأنها: عبقرية أو متفردّة؟

هذا ما سألته لنفسي، وأجبت: نعم، يصلح مثل هذا أن يكون قاضيا، ويصلُح أن يكون مُعلّما مؤدّبا مُربيا.

ولعِلم النبي ﷺ وهو مُربي الرجال بقدرات كل شخص ومكانه الذي يصلح فيه: فقد أوكل إلىٰ عُبادة مُهمّة تعليم القرآن لمن هاجر حديثا، ولأهل الصفة(١).

وكذا فعل عُمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين وجّه عبادة بن الصامت إلىٰ الشام، قاضياً ومُعلماً، فكان عبادة بحمص ما شاء الله له، يُعلّم الناس، حتّىٰ اطمأن لحالهم، فارتحل إلىٰ فلسطين وأقام بالرملة فكان أول من تولىٰ قضاء فلسطين.

هذا يريك أن تربية النبي ﷺ للرجال، وتربية الخلفاء من بعده لم تكُن تجري اتّفاقا، أو تقع مُصادفة، ولكن علىٰ علم ودراية، بقدرات كل

(١) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٤٦/١، أسد الغابة، ٥٦/٣، تهذيب الكمال، ٢٢٠/٣.

شخص، وإمكاناته، بحيث ينبغ في مجاله، وقد نهض عُبادة ﵁ بجهد دعوي كبير، ربما بدأ من أول لقائه بالنبي ﷺ في العقبة الأولىٰ، فانطلق يفتح بيوت الأنصار للدعوة الجديدة، ويدعو قومه بالحكمة والموعظة الحسنة، ثم يكون كفيلا عليهم وهو معنىٰ نقابته في العقبة الثانية، حتىٰ يهاجر النبي ﷺ، فيتلقىٰ عبادة منه القرآن غضّا طريّا، فيكون من الحَفَظَة، الذين يعلّمون من أسلم، ثم هو يجالس النبي ﷺ، فيأخذ عنه، ويبلغ غيره، ويسمع ممّن سمع منه، فيحصل له من ذلك ثروة علمية، سار بها بعد ذلك إلىٰ الشام مُعلّما، ثم قاضيا، معدودا في أكثر أهلها فقها.

ولعلّ من الملامح المميزة في شخصية عُبادة ﵁ أنه كان ابن الإسلام، الذي تلقىٰ تعاليمه صافية، ولم يشغله عن رسالته شاغل، ولم تنازعه فيه رغبة من رغبات الحياة، أو ابتغاء الجاه، وقد ظل مُحتفظا بحماسته كشاب، حتىٰ آخر حياته، فكان صورة حية للإسلام الفتيّ، بكل ما تعنيه الفتوّة: من قوة، وعزم، يترجمه صوته العالي في الحق حين يهتف: بايعت رسول الله علىٰ كذا وكذا.

وكان يقف في وجه الحكام مُنكرا عليهم، فإنه لمّا بلغ معاوية ﵁ إنكار عُبادة بن الصامت عليه في أمور قَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُحَدِّثُونَ بِأَحَادِيثٍ قَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمْ نَسْمَعْهَا، فَقَالَ عُبَادَةُ: «نُحَدِّثُ بِمَا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ مُعَاوِيَةَ»[1]، بل وترك الشام آبيا أن

(١) ينظر: المسند للشاشي: ٢/١٨٢ (١٢٧٠).

يسكنها، وفيها ما قد يمنعه من أداء رسالة التبليغ، والتعليم، فرجع إلىٰ السلطة الأم في المدينة، حتىٰ وجهه عمر ﷺ إلىٰ الشام مرة أخرىٰ بصلاحيات كاملة.

ومن المواهب الظاهرة عند عُبادة ﷺ، تلك الفصاحة، التي هي أول مقومات البلاغ، والتي كان يجادل بها مُقنعا بالحجج والأدلة، وقد سبقت مواقفه مع معاوية ﷺ، ومراجعته لعمر بن الخطاب ﷺ، وهو أفقه الناس، في إباحته لشرب الطِّلاء لأهل الشام، وهذه القوة في الحجة، وفي الشخصية بصفة عامة، قد انعكست علىٰ تقواه فلم تكن مشوبة بنوع من الجزع، أو طول التباكي، فقد كان وهو علىٰ فراش الموت صلبا قويًا: قوة يقين، وقوة إرادة، وقوة ثقة بالله.

عَنْ الصُّنَابِحِيِّ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: مَهْلًا، لِمَ تَبْكِي؟ فَوَاللهِ لَئِنْ اسْتُشْهِدْتُ لَأَشْهَدَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ شُفِّعْتُ لَأَشْفَعَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ اسْتَطَعْتُ لَأَنْفَعَنَّكَ[1].

وقد يرىٰ البعض بعد كل ذلك، أن كونه معلما هو أيضا صفة مشتركة، سبقه بها، غيره من الصحابة، وهنا لابد أن تتوجه أنظارنا إلىٰ نقطة أخرىٰ فيها تميُّز أكبر، فالمُتأمِّل يجد أن الناس ظلوا يتذاكرون مواقفه في قول الحق أمام أصحاب السطوة والنفوذ، فيسأل سائلهم مُتعجبا: هل

(١) ينظر: مسلم: ١/٥٧ (٢٩).

قال ذلك فعلا ؟

وهذا في الحقيقة أعطىٰ لشخصية عُبادة بن الصامت رضي الله عنه بُعْدا آخر ، لقد أصبحت قصص إنكاره علىٰ الأمراء ، سيرة اقتربت من أن تكون سيرة شعبية ، ورغم أنّ هذا قد يُدخل في التاريخ ما ليس فيه ، إلا أنه يمنح الشخصية ثراء ، وشهرة ، فإذا أضفتَ لذلك معرفة الخواص بسابقته ، وعلمه ، لرأيتَ كيف كُتب لهذه الشخصية الخلود عند العامة ، والخاصة ، فإذا ذُكرت القوة في الحق ، حضرك بعد عمر بن الخطاب ، عُبادة بن الصامت حتىٰ لكأنه عُمر الأنصار ، والمتأمل المدقق يرىٰ مزية كبرىٰ قد نالها عبادة ، لقد أشبه رضي الله عنه نبي الله موسىٰ في أمور ثلاثة: فهو أولا طوال أسمر ، ثم هو قويٌ جسيم ناطق بالحق في كل موطن ، والأخيرة أن الله أدناه من البيت المقدس ، وهي دعوة سألها موسىٰ عليه السلام ربَّه .



المبحث السادس

خلافات، وأخبار فيها نظر

أمام هذه المادة التراثية الضخمة، وما فيها من كثرة كاثرة من المؤلفات والمصنفات، يكون من الوارد بل من الطَّبعيّ أن تحدث أخطاء، أو مغالطات، قد ترجع إلىٰ السهو أو الوهم، أو النقل دون تدقيق، أو عدم مراعاة الدقة في زمن الأحداث، فينقل الأحدث قبل الأقدم، وقد تتناقض الروايات، وتتدافع، فتحتاج إلىٰ نظر وفصل لِتبيُّن الحقيقة التي هي مقصود كل بحث جاد، والواقع أن سيرة عبادة ﷺ لها نصيب من هذه الأخطاء، التي بدت في نسبة أبناء وإخوة له علىٰ غير الواقع، وقد أفردت هذا المبحث للنظر في الخلاف في شهوده: بدراً، ومشاركته في سرية حمزة ﷺ، وللنظر في بعض الأخبار الضعيفة: كبعثِه رسولا إلىٰ هرقل من قِبل أبي بكر الصديق ﷺ، وكذا النظر في ما ورد في الخلاف بين عُبادة بن الصامت ومعاوية ﷺ.

۞ الخلاف في شهوده بدراً:

قال ابن الجوزي في تلقيح فهوم أهل الأثر:

«عبَادَة بن الصَّامِت الْأَنْصَارِيّ فِي شُهُوده بَدْرًا اخْتِلَاف»[1].

والعجيب أنه ترجم له قبلها فقال: «عبَادَة بن الصَّامِت بْن قيس بن أَصْرَم بن فهر بن ثَعْلَبَة يكنىٰ أَبَا الْوَلِيد شهد الْعقبَة مَعَ السّبْعين وَهُوَ أحد النُّقَبَاء الاثني عشر وَشهد بَدْرًا وأحدا والمشاهد كلهَا مَعَ النَّبِي ﷺ»[2].

وما أراه أن ابن الجوزي اشتبه عليه الأمر، فإن سعدا بن عبادة هو الذي ذكره ابن سعد في الطبقة الأولىٰ ممن لم يشهد بدرا فقال:

«كَانَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَالْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو وَأَبُو دُجَانَةَ لَمَّا أَسْلَمُوا يَكْسِرُونَ أَصْنَامَ بَنِي سَاعِدَةَ. وَشَهِدَ سَعْدٌ الْعَقَبَةَ مَعَ السَّبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ فِي روايتهم جميعا وكان أحد النقباء الأثني عشر فَكَانَ سَيِّدًا جَوَادًا وَلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا. وَكَانَ يَتَهَيَّأُ لِلْخُرُوجِ إِلَىٰ بَدْرٍ وَيَأْتِي دُورَ الأَنْصَارِ يَحُضُّهُمْ عَلَىٰ الْخُرُوجِ فَنُهِشَ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ فأقام»[3].

وذكر ابن حجر ما يوهم بأن عبادة بن الصامت رضي الله عنه لم يشهد بدرًا:

«قال الميموني عن أحمد عن ابن عيينة: عبادة بن الصامت عَقَبِيٌّ أُحُدِيٌّ بَدْرِيٌّ شَجَرِيٌّ وهو نقيب، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولىٰ ممن لم يشهد بدرًا وقال كان ممن يتهيأ للخروج إلىٰ بدر فنُهِش فأقام وقال ابن سعد أيضا

(١) ينظر: تلقيح فهوم أهل الأثر، ٣١٤.
(٢) ينظر: السابق، ٩٥.
(٣) ينظر: الطبقات: ٣/٤٦١.

كان سعد في الجاهلية يكتب بالعربية ويحسن العوم والرّمي»[1].

والواضح من السياق أن الذي تخلف هو سعد بن عبادة ﵁، والظاهر أن جملة «قال الميموني... وهو نقيب» من خلط النّسّاخ، لأن ابن حجر يذكر ذلك في ترجمة سعد بن عبادة لا عبادة بن الصامت.

وقد سبق الحديث عن إجماع علماء التراجم والسير علىٰ شهود عبادة ﵁ بدرا، بما لا يدع مجالاً للشك.

۞ الخلاف في مشاركته في سرية حمزة ﵁ إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ

ذكر الواقدي في المغازي خبر مشاركة عبادة (﵁) في سرية حمزة ابن عبد المطلب إِلَىٰ سَيْفِ الْبَحْرِ، مِنْ نَاحِيَةِ الْعِيصِ[2] فقال «أَوّلُ لِوَاءٍ عَقَدَهُ رسول الله ﷺ بعد أَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ لِحَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، بَعَثَهُ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا شَطْرَيْنِ، خَمْسَةَ عَشَرَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَخَمْسَةَ عَشَرَ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَكَانَ من المهاجرين: أبو عبيدة ابن الْجَرّاحِ، وَأَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ ابْنِ رَبِيعَةَ، وَسَالِمٌ مَوْلَىٰ أَبِي حُذَيْفَةَ، وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعَمْرُو بْنُ سُرَاقَةَ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَكَنّازُ بْنُ الْحُصَيْنِ، وَابْنُهُ مَرْثَدُ بْنُ كَنّازٍ، وَأَنَسَةُ مَوْلَىٰ

(١) ينظر: تهذيب التهذيب: ٣/٤٧٥.

(٢) كانت في شهر رمضان علىٰ رأس سبعة أشهر من الهجرة، والعِيص: موضع في بلاد بني سليم به ماء يقال له ذنبان العيص، قاله أبو الأشعث، وهو فوق السوارقية، وقال ابن إسحاق في حديث أبي بصير: خرج حتىٰ نزل بالعيص من ناحية ذي المروة علىٰ ساحل البحر بطريق قريش التي كانوا يأخذون منها إلىٰ الشام. السيرة الحلبية: ٣/٢١٤، معجم البلدان، ٤/١٧٣.

رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمِنْ الْأَنْصَارِ: أُبَيّ بْنُ كَعْبٍ، وَعُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ، وَعُبَادَةُ ابْنُ الصّامِتِ، وَعُبَيْدُ بْنُ أَوْسٍ، وَأَوْسُ بْنُ خَوْلِيّ، وَأَبُو دُجَانَةَ، والمنذر ابن عمرو، ورافع ابن مَالِكٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، وَقُطْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ حَدِيدَةَ»[1].

وهذا لا يوافق ما أورده ابن هشام في السيرة من أنه لم يكن فيها من الأنصار أحد[2].

وما جاء في السيرة الحلبية «بعث رسول الله ﷺ عمه حمزة في ثلاثين رجلا من المهاجرين، قيل ومن الأنصار، وفيه نظر لأنه ﷺ لم يبعث من الأنصار إلا بعد أن غزا بهم بدرا»[3].

۞ خبر: إرسال أبي بكر الصديق رضي الله عنه عُبادة رسولا إلى هرقل يدعوه للإسلام

ورد هذا الخبر في الجليس للمُعَافَىٰ من طريق محمد بن أبي بكر الأنصاري، ونقله ابن عساكر في تاريخ دمشق[4].

وضعّف إسناده ابن حجر رحمه الله في الإصابة[5].

---

(١) انظر: المغازي: ٩/١.

(٢) راجع: سيرة ابن هشام، ٥٩٥/١.

(٣) انظر: السيرة الحلبية، ٢١٤/٣.

(٤) راجع: الجليس للمعافىٰ: ٦١٥/١، تاريخ دمشق: ١٥٤/٤٠.

(٥) ينظر: الإصابة ٣٩٤/٤.

۞ النظرفي ما ورد في الخلاف بين عُبادة بن الصامت ومعاوية ﷺ

١ ـ ما جاء في المستدرك للحاكم

أ ـ من طريق مُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، قَامَ قَائِمًا فِي وَسَطِ دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُحَمَّدًا أَبَا الْقَاسِمِ يَقُولُ: «سَيَلِي أُمُورَكُمْ مِنْ بَعْدِي رِجَالٌ يُعَرِّفُونَكُمْ مَا تُنْكِرُونَ، وَيُنْكِرُونَ عَلَيْكُمْ مَا تَعْرِفُونَ، فَلَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَىٰ اللهَ، فَلَا تَعْتُبُوا أَنْفُسَكُمْ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مُعَاوِيَةَ مِنْ أُولَئِكَ»[(١)].

مُسلم بن خالد ضعيف: قال عنه عثمان ابن سعيد الدارمي: ليس بذاك في الحديث، وذكره أبو العرب والبلخي والعقيلي في «جملة الضعفاء»، وقال ابن السمعاني: اختلف فيه، وذكره البرقي في باب «من نسب إلىٰ الضعف في الرواية ممن يكتب حديثه»، وقال الأشبيلي: لا يحتج به[(٢)]، وقال الألباني: فيه ضعف من قبل حفظه[(٣)].

ب ـ من طريق عَبْدُ اللهِ بْنُ وَاقِدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَىٰ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيَلِيكُمْ أُمَرَاءُ

(١) راجع: المستدرك: ٤٠٢/٣ (٥٥٣٠).
(٢) ينظر: إكمال تهذيب الكمال: ١٧٢/١١.
(٣) ينظر: السلسلة الضعيفة: ٥٢٨/٣.

بَعْدِي يُعَرِّفُونَكُمْ مَا تُنْكِرُونَ، وَيُنْكِرُونَ عَلَيْكُمْ مَا تَعْرِفُونَ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَىٰ اللهَ[1].

تفرد به عبد الله بن واقد وهو ضعيف[2].

٢ ـ ما جاء في مسند أحمد

ـ حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ أَبُو الْيَمَانِ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ، حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَقَالَ: عُبَادَةُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ مَعَنَا إِذْ بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ إِنَّا بَايَعْنَاهُ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَىٰ النَّفَقَةِ فِي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ، وَعَلَىٰ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَىٰ أَنْ نَقُولَ فِي اللهِ ﷻ وَلَا نَخَافَ لَوْمَةَ لَائِمٍ فِيهِ، وَعَلَىٰ أَنْ نَنْصُرَ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا قَدِمَ عَلَيْنَا يَثْرِبَ فَنَمْنَعَهُ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا وَأَزْوَاجَنَا وَأَبْنَاءَنَا، وَلَنَا الْجَنَّةُ فَهَذِهِ بَيْعَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِي بَايَعْنَا عَلَيْهَا فَمَنْ نَكَثَ، فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا بَايَعَ عَلَيْهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَفَى اللهُ بِمَا بَايَعَ عَلَيْهِ نَبِيَّهُ ﷺ. فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَىٰ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ قَدْ أَفْسَدَ عَلَيَّ الشَّامَ وَأَهْلَهُ فَإِمَّا تُكِفُّ إِلَيْكَ عُبَادَةَ، وَإِمَّا أُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّامِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ رَحِّلْ عُبَادَةَ حَتَّىٰ تُرْجِعَهُ إِلَىٰ دَارِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ،

(١) ينظر: المستدرك: ٤٠١/٣ (٥٥٢٨)

(٢) ينظر: المطالب العالية: ١١٦/١٠.

فَبَعَثَ بِعُبَادَةَ حَتَّىٰ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَدَخَلَ عَلَىٰ عُثْمَانَ فِي الدَّارِ، وَلَيْسَ فِي الدَّارِ غَيْرُ رَجُلٍ مِنَ السَّابِقِينَ أَوْ مِنَ التَّابِعِينَ قَدْ أَدْرَكَ الْقَوْمَ، فَلَمْ يُفْجَأْ عُثْمَانُ إِلَّا وَهُوَ قَاعِدٌ فِي جَانِبِ الدَّارِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ مَا لَنَا وَلَكَ، فَقَامَ عُبَادَةُ بَيْنَ ظَهْرَيِ النَّاسِ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَبَا الْقَاسِمِ، مُحَمَّدًا ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَيَلِي أُمُورَكُمْ بَعْدِي رِجَالٌ يُعَرِّفُونَكُمْ مَا تُنْكِرُونَ، وَيُنْكِرُونَ عَلَيْكُمْ مَا تَعْرِفُونَ، فَلَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَىٰ اللهَ فَلَا تَعْتَلُّوا بِرَبِّكُمْ»(١).

فيه: إسماعيل بن عيّاش: ورواية إسماعيل عن غير الشاميين ضعيفة وهذه منها(٢).

٣ ـ ما رواه ابن عساكر

قال ابن عساكر: أنبأنا أبو علي الحداد، أنا أبو نعيم الحافظ، نا سليمان بن أحمد الطبراني، نا موسىٰ بن هارون الحمال، نا إسحاق بن راهويه، نا أبو أسامة، نا أبو سنان عيسىٰ بن سنان، عن يعلىٰ بن شداد، قال: ذكر معاوية الفرار من الطاعون في خطبته، فقال عبادة: أمك هند أعلم منك، فأتم خطبته ثم صلّىٰ ثم أرسل إلىٰ عبادة فنفذت رجال الأنصار معه فاحتسبهم ودخل عبادة فقال له معاوية: ألم تتق الله وتستحيي إمامك؟ فقال عبادة: أليس قد علمت أني بايعت رسول الله (ﷺ) ليلة

(١) ينظر: مسند أحمد: (٢٢٧٦٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

(٢) ينظر: المطالب العالية: ١١٥/١٠.

العقبة أني لا أخاف في الله لومة لائم ؟! ثم خرج معاوية عند العصر فصلّىٰ العصر ثم أخذ بقائمة المنبر فقال أيها الناس إني ذكرت لكم حديثا علىٰ المنبر فدخلت البيت فإذا الحديث كما حدثني عبادة فاقْتَسِمُوا منه فهو أفقه منّي[1].

إسناده ضعيف، لضعف عيسىٰ بن سِنان[2]، قال يحيىٰ بن معين «عيسىٰ بن سنان أبو سنان ضعيف»[3] وقال أبو زرعة مخلط ضعيف الحديث، وقال أبو حاتم ليس بقوي في الحديث، وقال النسائي ضعيف[4].

ـ قال ابن عساكر: أخبرنا أبو القاسم تميم بن أبي سعيد بن أبي العباس، أنا محمد بن عبد الله بن عمر العمري، نا أبو محمد بن أبي شريح، نا يحيى بن محمد بن صاعد، نا محمد بن عبد الملك بن زنجويه، نا إسماعيل بن أبي أويس، حدثني أبي، عن أبي منيع الوليد بن داود بن محمد بن عبادة بن الصامت، عن ابن عمه عبادة بن الوليد، ولم يذكر في الإسناد عن الوليد بن عبادة وقال: كان عبادة بن الصامت مع معاوية بن أبي سفيان في عسكره، فأذَّن يوما، فقام خطيب يمدح معاوية ويثني عليه، فقام عبادة بتراب في يده فحثاه في فيِّ الخطيب، فغضب معاوية، فقال

(١) ينظر: تاريخ دمشق: ٢٦/١٩٥.
(٢) ينظر: المطالب العالية: ١٣/٦٧٦.
(٣) ينظر: الجرح والتعديل: ١٦/٢٧٧.
(٤) ينظر: تهذيب التهذيب: ٨/٢١٢.

له عبادة مجيبا له: «إنك يا معاوية لم تكن معنا حين بايعنا رسول الله ﷺ بالعقبة على السمع والطاعة في منشطنا ومكسلنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم، وقال رسول الله ﷺ: احثوا في أفواه المداحين التراب»[1].

ونقله الذهبي من طريق ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ: عَنْ أَبِيْهِ، عَنِ الوَلِيْدِ بنِ دَاوُدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ، عَنِ ابْنِ عَمِّهِ؛ عُبَادَةَ بنِ الوَلِيْدِ، قَالَ: كَانَ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ مَعَ مُعَاوِيَةَ، فَأَذَّنَ يَوْماً، فَقَامَ خَطِيْبٌ يَمْدَحُ مُعَاوِيَةَ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ، فَقَامَ عُبَادَةُ بِتُرَابٍ فِي يَدِهِ، فَحَشَاهُ فِي فَمِ الخَطِيبِ، فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ.

فَقَالَ لَهُ عُبَادَةُ: إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ مَعَنَا حِيْنَ بَايَعْنَا رَسُوْلَ اللهِ ـ ﷺ ـ بِالعَقَبَةِ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا، وَمَكْرَهِنَا، وَمَكْسَلِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَلاَّ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُوْمَ بِالحَقِّ حَيْثُ كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ـ ﷺ ـ (إِذَا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِيْنَ، فَاحْثُوا فِي أَفْوَاهِهِمُ التُّرَابَ)[2].

فيه: الوليد بن داود بن محمد: مجهول[3].

---

(١) ينظر: تاريخ دمشق: ٢٦/١٩٦.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢/٧.

(٣) ينظر: تاريخ دمشق تعليق المحقق في هامش ص: ٢٦/١٩٦، سير أعلام النبلاء تعليق المحقق في هامش ص: ٢/٧.

ـ قال ابن عساكر: أخبرنا أبو الفضل محمد وأبو عاصم الفضيل ابنا إسماعيل المعدلان بهراة، قالا: أنا أحمد بن محمد بن محمد الخليلي، أنا علي بن أحمد بن الحسن الخزاعي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، نا محمد بن إسحاق الصغاني، نا محمد بن عباد، نا يحيىٰ بن سليم، عن ابن خثيم، عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة، عن أبيه، أن عبادة بن الصامت مرت عليه قِطَارة وهو وبالشام تحمل الخمر فقال: ما هذه أزيت؟ قيل: لا بل خمر تباع لفلان، فأخذ شفرة من السوق فقام إليها فلم يَذَرْ فيها راوِيَة إلا بَقَرَها، وأبو هريرة إذ ذاك بالشام، فأرسل فلان إلىٰ أبي هريرة فقال ألا تمسك عنّا أخاك عبادة بن الصامت أما بالغدوات فيغدو إلىٰ السوق فيفسد علىٰ أهل الذمة متاجرهم وأما بالعشي فيقعد بالمسجد ليس له عمل إلا شتم أعراضنا وعيبنا، فأمسك عنا أخاك، فأقبل أبو هريرة يمشي حتىٰ دخل علىٰ عبادة فقال يا عبادة ما لك ولمعاوية، ذره وما حُمِّل فإن الله يقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ قال: يا أبا هريرة لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله (ﷺ) بايعناه علىٰ السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلىٰ النفقة في العسر واليسر وعلىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن نقول في الله لا تأخذنا في الله لومة لائم وعلىٰ أن ننصره إذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأهلنا ولنا الجنة ومن وَفّىٰ وَفّى الله له الجنة مما بايع عليه رسول الله (ﷺ) ومن نكث فإنما ينكث علىٰ نفسه، فلم يكلمه أبو هريرة بشيء فكتب فلان إلىٰ عثمان

بالمدينة، إن عبادة بن الصامت قد أفسد عليّ الشام، وأهله فإما أن يكف عبادة وإما أن أخلي بينه وبين الشام فكتب عثمان إلىٰ فلان أن أرْحِلْهُ إلىٰ داره من المدينة، فبعث به فلان حتىٰ قدم المدينة فدخل علىٰ عثمان الدار وليس فيها إلا رجل من السابقين بعَيْنِه ومن التابعين الذين أدركوا القوم متوافرين، فلم يُفْجَ عثمان به إلا وهو قاعد في جانب الدار، فالتفت إليه فقال ما لنا ولك يا عبادة فقام عبادة قائما وانتصب لهم في الدار فقال: إني سمعت رسول الله (ﷺ) أبا القاسم يقول سيلي أموركم بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون فلا طاعة لمن عصىٰ، فلا تعتلّوا بربكم، فو الذي نفس عبادة بيده إن فلانا لمن أولئك فما راجعه عثمان بحرف[1].

وحديث «سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصىٰ الله، فلا تعتلُّوا بربكم» قال عنه الألباني: ضعيف بهذا اللفظ[2].

ونقله الذهبي من طريق يَحْيَىٰ بنُ سُلَيْمٍ: عَنِ ابْنِ خُثَيْمٍ، عَنْ إِسْمَاعِيْلَ ابنِ عُبَيْدِ بنِ رِفَاعَةَ، عَنْ أَبِيْهِ:

أَنَّ عُبَادَةَ بنَ الصَّامِتِ مَرَّتْ عَلَيْهِ قِطَارَةٌ ـ وَهُوَ بِالشَّامِ ـ تَحْمِلُ الخَمْرَ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟ أَزَيْتٌ؟

(١) ينظر: تاريخ دمشق: ٢٦/١٩٧ ـ ١٩٨.

(٢) ينظر: السلسلة الضعيفة: ٣/٥٢٨.

قِيْلَ: لَا، بَلْ خَمْرٌ يُبَاعُ لِفُلَانٍ.

فَأَخَذَ شَفْرَةً مِنَ السُّوْقِ، فَقَامَ إِلَيْهَا، فَلَمْ يَذَرْ فِيْهَا رَاوِيَةً إِلاَّ بَقَرَهَا ـ وَأَبُو هُرَيْرَةَ إِذْ ذَاكَ بِالشَّامِ ـ فَأَرْسَلَ فُلَانٌ إِلَىٰ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: أَلَا تُمْسِكُ عَنَّا أَخَاكَ عُبَادَةَ، أَمَّا بِالغَدَوَاتِ، فَيَغْدُو إِلَىٰ السُّوْقِ يُفْسِدُ عَلَىٰ أَهْلِ الذِّمَّةِ مَتَاجِرَهُمْ، وَأَمَّا بِالعَشِيِّ، فَيَقْعُدُ فِي المَسْجِدِ لَيْسَ لَهُ عَمَلٌ إِلاَّ شَتْمُ أَعْرَاضِنَا وَعَيْبُنَا!

قَالَ: فَأَتَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: يَا عُبَادَةُ، مَا لَكَ وَلِمُعَاوِيَةَ؟ ذَرْهُ وَمَا حُمِّلَ.

فَقَالَ: لَمْ تَكُنْ مَعَنَا إِذْ بَايَعْنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوْفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَأَلاَّ يَأْخُذَنَا فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ.

فَسَكَتَ أَبُو هُرَيْرَةَ.

وَكَتَبَ فُلَانٌ إِلَىٰ عُثْمَانَ: إِنَّ عُبَادَةَ قَدْ أَفْسَدَ عَلَيَّ الشَّامَ[1].

قال الأرناؤوط عن إسناده: محتمل للتّحسين[2].

وأورده الذهبي: من طريق إِسْمَاعِيْلُ بنُ عَيَّاشٍ: عَنِ ابْنِ خُثَيْمٍ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَىٰ عُثْمَانَ: إِنَّ عُبَادَةَ بنَ الصَّامِتِ قَدْ أَفْسَدَ عَلَيَّ الشَّامَ وَأَهْلَهُ، فَإِمَّا

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢/٩ ـ ١٠

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ـ تعليق المحقق هامش ص: ٢/١٠

أَنْ تَكُفَّهُ إِلَيْكَ، وَإِمَّا أَنْ أُخَلِّيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّامِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَنْ رَحِّلْ عُبَادَةَ حَتَّىٰ تَرْجِعَهُ إِلَىٰ دَارِهِ بِالمَدِيْنَةِ. قَالَ: فَدَخَلَ عَلَىٰ عُثْمَانَ، فَلَمْ يَفْجَأْهُ إِلاَّ بِهِ، وَهُوَ مَعَهُ فِي الدَّارِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا عُبَادَةُ، مَا لَنَا وَلَكَ؟

فَقَامَ عُبَادَةُ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ، فَقَالَ:

سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ـ ﷺ ـ يَقُوْلُ: (سَيَلِي أُمُوْرَكُمْ بَعْدِي رِجَالٌ يُعَرِّفُوْنَكُمْ مَا تُنْكِرُوْنَ، وَيُنْكِرُوْنَ عَلَيْكُمْ مَا تَعْرِفُوْنَ، فَلَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَىٰ، وَلَا تَضِلُّوا بِرَبِّكُمْ)[1].

وفيه ذات العلة المذكورة آنفا وهىٰ ضعف رواية إسماعيل عن غير الشاميين.

والخلاصة: أن أغلب الأحاديث الواردة في مسألة الخلاف بين عُبادة بن الصامت ومعاوية ﷺ، لا تخلو من العلل، فكيف يُبنىٰ عليها هذا الخلاف الذي توسع فيه البعض، فأظهروا عُبادة ومعاوية ﷺ بمظهر الأعداء، ثم أليس عجيبا أن يعاديه وهو في جنده، وتحت رايته، ألم يبايع عبادة النبي ﷺ علىٰ السمع والطاعة، وألا ينازع الأمر أهله.



(١) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢/٨ ـ ٩.

المبحث السّابع
شبهة وردّ

لم يَسْلَم عبادة بن الصامت رضوان الله عليه من الدّس والطعن، وسهام الافتراء، والكذب، كغيره من الصحابة رضوان الله عليهم، وإن خفّ حِمله من الشبهات مقارنة بغيره، ولا يخفى خطر الشبهات، حين تمس عدالة الصحابة رضوان الله عليهم، لما في ذلك من زعزعة الثقة بأصول الدين، لأنهم رواة الأحاديث، والسنن، وينصرف التشكيك فيهم، إلىٰ التشكيك في مروياتهم، فيدخل من ذلك خطر عظيم.

والمنهج الصحيح في رد الشبهات: «الخروج مِنَها بِمَا يَنْقَدِحُ للنظر مِنْ نُورِ الدَّلِيلِ لَا بِالْإِجْبَارِ وَالْإِكْرَاهِ»(١).

هذا، وتنحصر الشبهة فيما أورَده صاحب العقد الفريد عن ائتمار عبادة رضي الله عنه مع معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما علىٰ قتال عليٍّ رضي الله عنه.

وقبل البدء في العرض والرد، لزم إلقاء الضوء علىٰ الأحداث التاريخية المُتعلقة بموضوع الشبهة:

كان مقتل عثمان رضي الله عنه جرحا بليغاً، أثار خلافا كبيرا، عُرفت آثاره

(١) ينظر: تفسير المنار: ٣/٣٤

بالفتنة الكبرىٰ، وقد استُقطب إلىٰ الصراع ـ بالضرورة ـ عدد من كبار الصحابة.

إلا أنّ الصحابة الكبار من أهل بدر، وأصحاب السابقة، كانوا أخوف الناس من الفتن، ومن الوقوع في دم المسلمين.

قِيل لسعد بن وقاص رضي الله عنه:

«أَلا تُقَاتِلُ فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الشُّورَىٰ، وَأَنْتَ أَحَقُّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ غَيْرِكَ، فَقَالَ: لا أُقَاتِلُ حَتَّىٰ تَأْتُونِي بِسَيْفٍ لَهُ عَيْنَانِ وَلِسَانٌ وَشَفَتَانِ يَعْرِفُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ، فَقَدْ جَاهَدْتُ وَأَنَا أَعْرِفُ الْجِهَادَ»(١).

وروىٰ ابن ماجه بإسناد حسن: لَمَّا جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ هَاهُنَا، الْبَصْرَةَ، دَخَلَ عَلَىٰ أَبِي، فَقَالَ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ، أَلَا تُعِينُنِي عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؟ قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَدَعَا جَارِيَةً لَهُ، فَقَالَ: يَا جَارِيَةُ، أَخْرِجِي سَيْفِي. قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ، فَسَلَّ مِنْهُ قَدْرَ شِبْرٍ، فَإِذَا هُوَ خَشَبٌ، فَقَالَ: إِنَّ خَلِيلِي وَابْنَ عَمِّكَ ـ ﷺ ـ عَهِدَ إِلَيَّ «إِذَا كَانَتْ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَاتَّخِذْ سَيْفًا مِنْ خَشَبٍ» فَإِنْ شِئْتَ خَرَجْتُ مَعَكَ. قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ، وَلَا فِي سَيْفِكَ(٢).

---

(١) ينظر: المعجم الكبير للطبراني: ١/١٤٤ (٣٢٢)، معرفة الصحابة لأبي نعيم، ١/١٣٥.

(٢) ينظر: سنن ابن ماجه: ٥/١٠٧ ـ ١٠٨ (٣٩٦٠)، السلسلة الصحيحة للألباني، ٣/٣٦٨.

وكما حاول علي ﷺ الاستعانة بكبار الصحابة علىٰ قتال معاوية، فعل معاوية ذلك قبله، فاستعان بعمرو بن العاص ﷺ.

ومن هنا اندست روايات باطلة، تخلط الحابل بالنابل، وتناقض التاريخ، والوقائع، منها ما جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه أنه «لمّا قدم عمرو بن العاص علىٰ معاوية وقام معه في شأن علي بعد أن جعل له مصر طعمة. قال له: إن بأرضك رجلا له شرف واسم، والله إن قام معك استهويت به قلوب الرجال؛ وهو عبادة بن الصامت. فأرسل إليه معاوية، فلما أتاه وسّع له بينه وبين عمرو بن العاص، فجلس بينهما، فحمد الله معاوية وأثنىٰ عليه، وذكر فضل عبادة وسابقته، وذكر فضل عثمان وما ناله، وحضّه علىٰ القيام معه؛ فقال عبادة: قد سمعت ما قلت، أتدريان لم جلست بينكما في مكانكما؟ قالا: نعم، لفضلك وسابقتك وشرفك. قال: لا والله، ما جلست بينكما لذلك، وما كنت لأجلس بينكما في مكانكما؛ ولكن بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ في غزاة تبوك، إذ نظر إليكما تسيران وأنتما تتحدّثان، فالتفت إلينا فقال: إذا رأيتموهما اجتمعا ففرّقوا بينهما؛ فإنما لا يجتمعان علىٰ خير أبدا! وأنا أنهاكما عن اجتماعكما؛ فأمّا ما دعوتماني إليه من القيام معكما، فإنّ لكما عدوّا هو أغلظ أعدائكما عليكما، وأنا كامن من ورائكم في ذلك العدو، إن اجتمعتم علىٰ شيء دخلت فيه»[1].

وقبل أن أُعرّج علىٰ نقد الرواية، وبيان ما فيها من تناقض، أنقل ما

(١) ينظر: العقد الفريد لابن عبد ربه، ٥/٩٣.

جاء علىٰ لسان ابن عبد ربه عن منهجه في الرواية فإنه يقول:

«حذفت الأسانيد من أكثر الأخبار طلبا للاستخفاف والإيجاز، وهربا من التثقيل والتّطويل؛ لأنها أخبار ممتعة وحكم ونوادر، لا ينفعها الإسناد باتّصاله، ولا يضرّها ما حذف منها، وقد كان بعضهم يحذف أسانيد الحديث من سنّة متّبعة، وشريعة مفروضة؛ فكيف لا نحذفه من نادرة شاردة، ومثل سائر، وخبر مستطرف»[1].

فهل يصح ذلك؟ وهل يدخل في النوادر والظَّرْف أخبار الصحابة رضوان الله عليهم؟!.

۞ الرد على رواية ابن عبد ربه:

١ ـ عبادة بن الصامت ﵁ قد مات علىٰ التحقيق سنة٣٤ هـ، بإجماع علماء التراجم، والسير، قبل مقتل عثمان ﵁، فكيف له أن يجتمع بمعاوية وعمرو بن العاص في خلافة عليّ ﵁ وهو ميت يومئذ. فإذا احتج أحَدٌ ببقاء عبادة إلىٰ زمن مقتل عثمان بما أورده ابن كثير في البداية والنهاية، بقوله:

«لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ خَرَجَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ وَمَعَهُ قَمِيصُ عُثْمَانَ مُضَمَّخٌ بِدَمِهِ، وَمَعَهُ أَصَابِعُ نَائِلَةَ الَّتِي أُصِيبَتْ حِينَ جَاحَفَتْ عَنْهُ بِيَدِهَا،

(١) ينظر: السابق، ١/٥ ـ ٦.

فَقُطِعَتْ مَعَ بَعْضِ الْكَفِّ فَوَرَدَ بِهِ عَلَىٰ مُعَاوِيَةَ بِالشَّامِ، فَوَضَعَهُ مُعَاوِيَةُ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ لِيَرَاهُ النَّاسُ، وَعَلَّقَ الْأَصَابِعَ فِي كُمِّ الْقَمِيصِ، وَنَدَبَ النَّاسَ إِلَىٰ الْأَخْذِ بِثَأْرِ هَذَا الدَّمِ وَصَاحِبِهِ، فَتَبَاكَىٰ النَّاسُ حَوْلَ الْمِنْبَرِ، وَجَعَلَ الْقَمِيصُ يُرْفَعُ تَارَةً وَيُوضَعُ تَارَةً، وَالنَّاسُ يَتَبَاكَوْنَ حَوْلَهُ سَنَةً، وَحَثَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَىٰ الْأَخْذِ بِثَأْرِهِ، وَاعْتَزَلَ أَكْثَرُ النَّاسِ النِّسَاءَ فِي هَذَا الْعَامِ، وَقَامَ فِي النَّاسِ مُعَاوِيَةُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعَهُ يُحَرِّضُونَ النَّاسَ عَلَىٰ الْمُطَالَبَةِ بِدَمِ عُثْمَانَ مِمَّنْ قَتَلَهُ مِنْ أُولَئِكَ الْخَوَارِجِ؛ مِنْهُمْ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، وَأَبُو أُمَامَةَ، وَعَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمِنَ التَّابِعِينَ»[1]، لقلنا إن هذا الذي أورَدَه ابن كثير، مخالف لإجماع أهل السير والتراجم.

٢ ـ الرواية التي ساقها ابن عبد ربه بلا إسناد، ولا أثر لها في كتب المتقدمين ولا المتأخرين.

٣ ـ الحديث الذي يذكره عبادة في رواية العقد الفريد «بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ في غزاة تبوك، إذ نظر إليكما تسيران وأنتما تتحدّثان، فالتفت إلينا فقال: إذا رأيتموهما اجتمعا ففرّقوا بينهما؛ فإنما لا يجتمعان علىٰ خير أبدا» لا وجود له في كتب السنة.

٤ ـ أن قول عبادة في رواية العقد الفريد «وأنا كامن من ورائكم في

(١) ينظر: البداية والنهاية، ١٠/٤٢٥.



ذلك العدو، إن اجتمعتم علىٰ شيء دخلت فيه» مجاف لطبيعته من إعلان الحق، ووضوح المسلك.

هذا، والرواية كلها لا تكاد تقوم علىٰ قدم، ويظهر تهافتها، ولكنّ خطرها يكمن في اشتهار كتاب العقد الفريد وانتشاره، وقد يقع في يد بعض الناشئة فيزعزع ثقتهم بواحد من كبار الصحابة كعبادة ﷺ، ويظهرُ الصحابة أمامهم بمظهر المتآمرين، ومدبري المكائد، في جلسات تشبه جلسات اللصوص.

وغفر الله لصاحب العقد الفريد، ولعل الله تعالىٰ أراد عصمة عبادة ابن الصامت بموته قبل مقتل عثمان ﷺ من هذه الفتنة المُردِية، ومن أن يخوض سيفه الذي قاتل أعداء الله في رقاب المسلمين.



خَاتِمَة

أيها القارئ الكريم:

بعد كل ما استعرضناه، من سيرة هذا الرجل الجليل من الصحابة الأنصار ﷺ، لعلّه وجب أن نقف وقفة مع أنفسنا، وأن ننظر في أحوالنا، فهؤلاء مع تفضيل الله تعالىٰ لهم لم يكونوا أبطالا خارقين، بل إنهم عانَوا أشد المعاناة في زمن صعب، لم يكن فيه ما نراه من تيسير في عصرنا، لقد قاسوا مشقة الأسفار، وتربُّص الأعداء، وكانوا في قلة من العدد والعُدّة لأوقات طوال، إلا أنهم قد صبروا، واحتسبوا، ونهضوا بالأمانة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، فهل نجد لنا في سيرتهم أُسوة، وفي حياتهم حافزا، وهل سنعقد النية علىٰ أن نتغير؟ لنلقىٰ رسول الله ﷺ وصحبه بوجوه بيضاء، وقلوب سليمة، وأعمال طيبة، أولئك كانوا هم السّلف، ولم تذهب الأمانة بذهابهم، وبقيت علينا تبعة، وفي أعناقنا بيعة، فالله الله في دين الله أن يضيع، أو يُبدّل وفينا عينٌ تطرف، وهو المُستعان سبحانه وعليه التُكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.



المراجع والمصادر

* صحيح البخاري ـ ت: محمد زهير بن ناصر الناصر ـ دار طوق النجاة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: ١ ـ ١٤٢٢هـ.
* صحيح مسلم ـ تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ د. ط ـ د. ت.
* المستدرك علىٰ الصحيحين ـ الحاكم ـ ت: مصطفىٰ عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط: ١، ١٩٩٠ م.
* سنن الترمذي ـ تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين ـ شركة ومكتبة ومطبعة: مصطفىٰ البابي الحلبي ـ مصر ـ ط: ٢ ـ ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
* السنن الكبرىٰ ـ النسائي ـ تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: ١ ـ ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
* مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبان ـ ط: ١ ـ ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
* السنن الكبرىٰ ـ البيهقي ـ تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: ٣ ـ ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
* شعب الإيمان ـ البيهقي ـ تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد حامد، مختار أحمد الندوي ـ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ـ الرياض بالتعاون مع الدار السلفية بومباي ـ الهند ـ ط: ١ ـ ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
* سنن ابن ماجه ـ تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ـ دار إحياء الكتب العربية ـ مصر ـ د. ط ـ د. ت.

* سنن أبي داود ـ تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ لبنان ـ د. ط ـ د. ت.

* التاريخ الأوسط ـ البخاري ـ ت: محمود إبراهيم زايد ـ دار الوعي، مكتبة دار التراث ـ حلب، القاهرة ـ ط: ١، ١٩٧٧م.

* المسند للشاشي ـ أبوسعيد الشاشي البِنْكثي ـ ت: د. محفوظ الرحمن زين الله ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ ط: ١ ـ ١٤١٠هـ.

* مصنف ابن أبي شيبة ـ ت: كمال يوسف الحوت ـ مكتبة الرشيد ـ الرياض ـ ط: ١ ـ ١٤٠٩هـ.

* مسند البزّار المنشور باسم: البحر الزّخّار ـ ت: محفوظ الرحمن زين الله وآخريْن ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ ط: ١ ـ من ١٩٨٨م إلى٢٠٠٩م.

* موطأ مالك ـ صححه وعلق عليه: محمد فؤاد عبدالباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ د. ط ـ ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

* السلسلة الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ـ الألباني ـ دار المعارف ـ الرياض ـ السعودية ـ ط: ١ ـ ١٤١٢هـ/١٩٩٩٢م.

* المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ـ ابن حجر العسقلاني ـ تنسيق: د. سعد بن ناصر الشثري ـ دار العاصمة ـ دار الغيث للنشر والتوزيع.

* تفسير ابن كثير ـ ت: محمد حسين شمس الدين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط: ١ ـ ١٤١٩هـ.

* الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ ت: أحمد البردوني وآخر ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ ط: ٢ ـ ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

* تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ـ ت: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ـ دار هجر للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ط: ١ ـ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

* التفسير الوسيط للقرآن الكريم ـ مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ـ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ـ مصر ـ ط: ١ ـ ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ـ ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

* المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ ابن عطية الأندلسي ـ ت: عبدالسلام عبدالشافي محمد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط: ١ ـ ١٤٢٢هـ.

* تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) ـ ت: عبدالرزاق المهدي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط: ١ ـ ١٤٢٠هـ.

* تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ـ ت: أسعد محمد الطيب ـ مكتبة نزار مصطفي الباز ـ السعودية ـ ط: ٣ ـ ١٤١٩هـ.

* الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ السيوطي ـ مركز هجر للدراسات والبحوث الإسلامية ـ القاهرة ـ ط: ١ ـ ٢٠٠٣م.

* تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) ـ محمد رشيد رضا ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ د. ط ـ ١٩٩٠م.

* التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ـ د. وهبة بن مصطفي الزحيلي ـ دار الفكر المعاصر ـ دمشق ـ ط: ٢ ـ ١٤١٨هـ.

* فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ ابن حجر العسقلاني ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ت: محمد فؤاد عبدالباقي ـ ١٣٧٩هـ.

* المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج ـ النووي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط: ٢ ـ ١٣٩٢هـ.

* التوضيح لشرح الجامع الصحيح ـ ابن الملقِّن ـ دار النوادر ـ دمشق ـ سوريا ـ ط: ١ ـ ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

* المجموع شرح المهذب ـ النووي ـ طبعة دار الفكر.

* السيرة النبوية لابن هشام ـ ت: مصطفىٰ السقا وآخرين ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي ـ مصر ـ ط: ٢ ـ ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

* المغازي ـ الواقدي ـ ت: مارسدن جونس ـ دار الأعلمي ـ بيروت ـ ط: ٣ ـ ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

* السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) ـ علي بن إبراهيم الحلبي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط: ٢ ـ ١٤٢٧هـ.

* اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون ـ موسىٰ بن راشد العازمي ـ المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع ـ الكويت ـ ط: ١ ـ ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

* غاية السُّول في خصائص الرسول ـ ابن الملقن ـ ت: عبد الله بحر الدين عبد الله ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ ط: ١ ـ ١٩٩٣م.

* شرح الزرقاني علىٰ المواهب اللدنية ـ شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط: ١ ـ ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

* الطبقات الكبرىٰ ـ ابن سعد ـ ت: محمد عبدالقادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط: ١ ـ ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

* الثقات ـ ابن حبّان ـ تحت مراقبة: د. محمد عبد المعيد خان ـ دائرة المعارف العثمانية ـ حيدرآباد ـ الهند ـ ط: ١ ـ ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

* سير أعلام النبلاء ـ الذهبي ـ إشراف: شعيب الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ ط: ٣ ـ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

* أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ ابن الأثير ـ دار الفكر ـ بيروت ـ د. ط ـ ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

* الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ت: عادل أحمد عبد الموجود ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط: ١ ـ ١٤١٥هـ.

* تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ المِزِّي ـ ت: د. بشار عواد معروف ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط: ١ ـ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

* تهذيب التهذيب ـ ابن حجر العسقلاني ـ مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ـ ط: ١، ١٣٢٦هـ

* معرفة الصحابة ـ أبو نعيم ـ ت: عادل بن يوسف العزازي ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ط: ١ ـ ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

* الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر ـ ت: علىٰ محمد البجاوي ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط: ١ ـ ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

* إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ مُغَلْطاي المصري ـ ت: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد ـ الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ط: ١ ـ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

* طبقات خليفة بن خيّاط ـ ت: د. سهيل زكار ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

* معجم الصحابة لابن قانع ـ ت: صلاح بن سالم المصراتي ـ مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة ـ ط: ١ ـ ١٤١٨هـ.

* الجرح والتعديل ـ ابن أبي حاتم ـ مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط: ١ ـ ١٢٧١هـ/١٩٥٢م.

* جامع التحصيل في أحكام المراسيل ـ العلائي ـ ت: حمدي عبد المجيد السلفي ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط: ٢، ١٩٨٦م.

* تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ـ الذهبي ـ ت: د. بشار عوّاد معروف ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط: ١ ـ ٢٠٠٣م.

* معرفة القراء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار ـ الذهبي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط: ١، ١٩٩٧م

* البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي ـ دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط: ١ ـ ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

* الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ت: عمر عبدالسلام تدمري ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط: ١ ـ ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

* تاريخ دمشق ـ ابن عساكر ـ ت: عمر بن غرامة العمروي ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ د. ط ـ ١٩٩٩٥م.

* فتوح مصر والمغرب ـ ابن عبد الحكم ـ ت: علىٰ محمد عمر ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ د. ط ـ ١٤١٥هـ.

* تاريخ ابن يونس ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط: ١ ـ ١٤٢١هـ.

* فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ت: لجنة تحقيق التراث ـ دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ د. ط ـ ١٩٨٨م.

* تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت ـ ط: ١١٩٩٧ م.

* حسن المحاضرة للسيوطي ـ ت: محمد أبوالفضل إبراهيم ـ دار إحياء الكتب العربية ـ يحي البابي الحلبي ـ مصر ـ ط: ١، ١٩٦٧م.

* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ ابن تغري بردي ـ وزارة الثقافة ـ مصر ـ ١٩٦٣م.

* الجليس الكافي والأنيس الصالح الشافي ـ أبو الفرج المُعافَىٰ ـ ت: عبدالكريم الجندي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط: ١، ٢٠٠٥م.

* صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، أبو مالك كمال بن السيد سالم ـ

المكتبة التوفيقية ـ القاهرة ـ ٢٠٠٣م.

❋ الفقه علىٰ المذاهب الأربعة ـ عبدالرحمن بن محمد الجزيري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط: ٢ ـ ٢٠٠٣م.

❋ الإحكام في أصول الأحكام ـ ابن حزم ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ ط: ٢ ـ ١٩٨٣م.

❋ إعلام الموقعين عن رب العالمين ـ ابن القيّم ـ ت: محمد عبد السلام إبراهيم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط: ١ ـ ١٤١١هـ/١٩٩١م.

❋ الواضح في أصول الفقه ـ أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي ـ ت: د. عبد الله عبد المحسن التركي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط: ١ ـ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

❋ موسوعة القواعد الفقهية ـ محمد صدقي بن أحمد الغزي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط: ١ ـ ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

❋ الفقه الإسلامي وأدلته، أ. د. وهبة بن مصطفي الزحيلي، دار الفكر ـ سورية ـ دمشق ـ ط: ٤.

❋ العقد الفريد ـ ابن عبد ربه ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط: ١ ـ ١٤٠٤هـ.

❋ عُبادة بن الصامت: صحابي كبير وفاتح مجاهد، د. وهبة الزحيلي ـ دار القلم ـ دمشق، ط: ٣، ١٩٨٨م.

❋ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط: ١ ـ ١٩٩٥م.

❋ لسان العرب ـ ابن منظور ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط: ٣ ـ ١٤١٤هـ.

❋ القاموس المحيط ـ الفيروزآبادي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط: ٨ ـ ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

❋ معجم اللغة العربية المعاصرة ـ د. أحمد مختار عبدالحميد ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ط: ١ ـ ٢٠٠٨م.

فهذا كتاب لا أدّعي أنّي سُبقت إليه، ولكنّي التفت إلى كنز نملكه، ونغفل عنه: كنز التراث، وما فيه من مفاتيح الرّضا، ومصابيح الهدى، من الأعلام الأئمة من سلف هذه الأمة، فكان أن هداني الله تعالى وله الفضل والمنّة، إلى شخصية كريمة فاض عليّ من عبقِها، ورأيت من أنوارها، هي شخصية: عُبادة بن الصامت الأنصاري رضي الله عنه، وقد اخترت في عرض هذه الشخصية، طريقًا وسطًا بين السرد، والنقد، خشية الوقوع في التكرار، ولكي تحصُل الفائدة، فحاولت إزاحة الستار عن عبقريتها، وفض بعض الخلاف حولها، مُستجلياً جانب القدوة والإمامة فيها، من سبق، وجهاد، وصدق، وفقه، وقوة في الحق، كما حاولت درء شُبهةٍ نالَتْه رضي الله عنه، وقد اعتمدت في ذلك على أمهات الكتب التي أتيحت لي.

هاتف : ٢٢٥٦٠٢٠٣ - فاكس: ٢٢٥٦٠٣٤٦
www.almabarrah.net
E.mail : almabarrh@hotmail.com
almabarrah